علاء الدين المدرس

عمر والحسين

وجهان لمنهج إسلامي أصيل

وروح استشهاد لبناء دولة الحق وهدم الباطل

دار الرقيم/ بغداد – دار الأمل/ عمان

٢٠٠٢م – ١٤٢٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لم تكن مصادفة في التاريخ الإسلامي، أن يموت ثلاثة من الخلفاء الراشدين الأربعة غيلة وغدراً والدولة الإسلامية في أوج عظمتها وانتصاراتها، إلا إذا افترضنا وجود أصابع خفية من أعداء الأمة وعلى رأسهم اليهود والمجوس والروم، بحيث كان وراء تلك الأحداث التخطيط العميق والتنفيذ الدقيق، لإيقاف الزحف الإسلامي ونشر نوره في العالم أجمع. وكان من نتائج ذلك التخطيط مقتل عظماء الإسلام وانتشار الخراب والطائفية والخصومة بين المسلمين، وكان من أبرز ملامح ذلك، انتشار أفكار الغلو والباطنية والحروب العديدة بين المسلمين واستشهاد العديد من أئمة أهل البيت والصحابة وأبنائهم في العهدين الأموي والعباسي، كما حدث في معارك الطف والحرة ومكة والمدينة والبصرة والكوفة ودمشق ومصر وغيرها.

ولكي نتابع دور هذه الأصابع الخفية وهذا التآمر على الإسلام والقوى المعادية التي تقف وراءه لابد من نبذة تاريخية عن اغتيال الخلفاء الثلاثة (عمر وعثمان وعلي ﷺ) وغيرهم من شهداء أهل البيت والصحابة كما ترويه المصادر التاريخية، ليكون ذلك حافزاً لنا نحو التصحيح والتصدي لأعداء الأمة الحقيقيين، مهما تخفوا وأظهروا الإيمان بالإسلام والعمل بمنهجه فإن كشف خطط الأعداء وقراءة أفكارهم وأساليبهم وتطهير التراث الإسلامي من الروايات المدسوسة، من أهم الوسائل الناجحة نحو بناء أمة قوية موحدة، للسير نحو توحيد الأمة وتقريب وجهات نظرها في المسائل الخلافية والمذهبية والفكرية وغيرها..

العاشر من المحرم ١٤٢١هـ

لمحة عن حياة عمر بن الخطاب

عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب القرشي العدوي (٥٨١–٦٤٤م) ويكنى أبا حفص، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، يلتقي نسبه بنسب النبي ﷺ في جده السابع. وله من الولد عبد الله وعبد الرحمن وحفصة وأمهم زينب بنت مظعون الجمحي، وزيد ورقية أمهما أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وزيد الأصغر وعبيد الله[١]، وأمهما أم كلثوم بنت جرول بن مالك الخزاعي.

وعن نافع بن عمر أن النبي ﷺ قال: اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك، بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هاشم فكان أحبهما إليه عمر بن الخطاب. وعن الحسن بن علي عن النبي ﷺ قال: اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب[٢].

إسلام عمر

وقد كان إسلام عمر نصراً كبيراً ورحمة إلهية نزلت على المسلمين بمكة وهم قلة، عن أنس بن مالك قال: خرج عمر متقلداً السيف فلقيه رجل من بني زهرة قال: أين تعمد يا عمر؟ فقال: أريد أن أقتل محمداً، قال: وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمداً؟ فقال عمر: ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي أنت عليه. قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر إن ختنك وأختك قد صبوا وتركا دينك الذي أنت عليه قال: فمشى عمر ذامراً حتى أتاهما وعندهما خباب بن الأرت. قال

---

(١) عبيد الله بن عمر، هو الذي قتل قتلة أبيه، جفينة والهرمزان، اللذان خططا مع أبي لؤلؤة الفيروز لاغتيال الخليفة.

(٢) رواه ابن ماجة (١٠٥) والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر.

فلما سمع خباب حس عمر توارى في البيت، فدخل عليهما فقال: ما هذه الهيمنة التي سمعتها عندكما؟ قال: وكانوا يقرؤون سورة طه، فقالا: ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا، قال: فلعلكما قد صبوتما؟ قال: فقال له ختنه: أرأيت يا عمر أن كان الحق في غير دينك؟ قال: فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأً شديداً. فجاءت أخته فدفعته عن زوجها، فنفحها بيده نفحة فدمّى وجهها فقالت وهي غضبى: يا عمر إن كان الحق في غير دينك، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فلما يأس عمر قال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم أقرأه، قال وكان عمر يقرأ الكتب، فقالت أخته: أنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل وتوضأ. قال: فقام عمر فتوضأ، ثم أخذ الكتاب فقرأ طه، حتى انتهى إلى قوله: إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري. قال: فقال عمر: دلوني على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت، فقال: أبشر يا عمر فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس قد أظلتك وهي: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو عمرو بن هاشم، قال ورسول الله ﷺ في الدار التي في أصل الصفا. فأنطق عمر حتى أتى الدار وعلى الباب حمزة وطلحة وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر، قال حمزة: نعم فهذا عمر، فإن يرد الله به خيراً يسلم ويتبع النبي ﷺ، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا. قال، والنبي داخلٌ يوحى إليه، قال فخرج رسول الله ﷺ، حتى أتى عمر، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف، فقال: أما أنت منتهياً يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة؟ اللهم هذا عمر بن الخطاب، اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب، قال: فقال عمر: أشهد أنك رسول الله.. فأسلم[1]، وعن الزهري قال: أسلم عمر بن الخطاب بعد أن دخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وبعد أربعين أو نيف وأربعين من رجال ونساء قد أسلموا قبله.

ولما هاجر عمر إلى المدينة المنورة، خرج من مكة المكرمة مجاهراً علناً، ولم يخف أمره، بل تحدى رجال قريش وطغاتها، إذ طاف بالبيت، ثم قال: من أراد أن تثكله أمه فليتبعني، فإني مهاجر إلى يثرب، وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ. وقد

---

(١) انظر في قصة إسلام عمر: سيرة ابن هشام، وطبقات ابن سعد.

سماه رسول الله الفاروق "وهو أول من سمي بأمير المؤمنين وأول من سن قيام رمضان، وأول من دون الدواوين واستقضى القضاة وأول من كتب التاريخ الهجري، وحج عشر مرات. وأمر ببناء الكوفة والبصرة.

اشتهر سيدنا عمر بالزهد والورع والعدل والحزم، وولي الخلافة بعد أبي بكر الصديق ﷺ وفتح الله في عهده العراق والشام ومصر، وحطم الأكاسرة والقياصرة وثل عروشهم، وهو الذي مصر الأمصار، وأمر ببناء الكوفة والبصرة. وكان عالماً فقيها أديباً وله ذوق رفيع في معرفة الشعر. استشهد بغدر المجوس وأعداء الإسلام وعلى يد أبي لؤلؤة الفيروز وأعوانه وأبرزهم الهرمزان[٢] وجفينة، وهو من نصارى الحيرة. إذ طعن في أواخر ذي الحجة وتوفي في بداية شهر محرم سنة ٢٤هـ[٣] وصلى عليه صهيب بن سنان الرومي، وهو من كبار الصحابة، ودفن في الحجرة النبوية الشريفة مع النبي ﷺ وأبي بكر الصديق ﷺ وكان ذا هيبة ووقار.

وكتب الناس على قبائلهم وفرض لهم الأعطية من الفيء وقسم القسوم في الناس، وفرض لأهل بدر وفضلهم على غيرهم، وفرض للمسلمين على أقدارهم وسبقهم في الإسلام وكان يستعمل صغار الصحابة، كعمرو بن العاص ومعاوية والمغيرة بن شعبة، ويدع من هو أفضل منهم مثل: عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف ونظرائهم إذ كان يبقيهم مستشارين ووزراء.

وحج عمر في خلافته عشر مرات. وهو الذي قطع الشجرة التي تمت تحتها بيعة الرضوان خوف تقديسها. وهو الذي قال عندما وقف أما الحجر الأسود، والله إنك حجر، لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك.

---

(٢) الهرمزان: وهو قائد سابق في جيش كسرى عاش في المدينة بعد فتح فارس

(٣) أي استشهاد عمر والحسين في نفس الشهر في محرم الحرام، وكان استشهاد الحسين سنة ٦٠هـ، أي بعد مقتل عمر بـ ٣٦ سنة. وكان مقتله أحد نتائج الفتنة التي بدأت بمقتل الخلفاء الثلاثة عمر وعثمان وعلي. وقد ذكر كتاب السير والتراجم خبر وفاة عمر في مطلع شهر محرم لسنة ٥٤هـ. انظر طبقات ابن سعد وغيره.

وكان لشدة إحساسه بالمسؤولية وورعه يقول: لو أن بغلة عثرت في العراق، لخشيت أن أسأل عنها لم لم تسو لها الطريق يا عمر. ومن أقواله المأثورة: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً. وقول: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم. وهو الذي سن مبدأ: (من أين لك هذا) لمحاسبة موظفي الدولة، ومبدأ: الأرض لمن يزرعها من الفلاحين والمزارعين[1]. وقوله لأبي عبيدة، حين عرضت له مخاضة لما قدم الشام لاستلام مفاتيح بيت المقدس فخاض الماء ومعه بعيره، وخفيه بيده، فقال له لقد صنعت صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض: فأجابه عمر: أوه لو قالها غيرك يا أبا عبيدة، لقد كنا أذلة فأعزنا الله بالإسلام، ولو ابتغينا العزة بغير هذا الدين أذلنا الله. وعندما كثر الفيء والمال استشار عمر المسلمين في تدوين الديوان. فدعا عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم وكانوا من نُساب قريش، فقال اكتبوا الناس على منازلهم، فكتبوا فبدؤا ببيني هاشم ثم قوم أبي بكر ثم عمر فقال عمر: وددت والله أنه هكذا ولكن ابدؤوا بقرابة النبي ﷺ الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله. ورفض اعتراض قومه وقال لهم: والله ما أدركنا الفضل في الدنيا ولا ما نرجوا في الآخرة من ثواب الله على ما علمنا إلا بمحمد ﷺ فهو أشرفنا وقومه أشراف العرب ثم الأقرب فالأقرب.

وفضل عمر أهل السوابق والمشاهد في الفرائض، وكان أبو بكر الصديق قد سوى بين الناس في القسم، فقيل لعمر في ذلك فقال: لا أجعل من قاتل رسول الله ﷺ كمن قاتل معه، فبدأ بمن شهد بدراً من المهاجرين والأنصار، ففرض لكل رجل منهم خمسة آلاف درهم في كل سنة، حليفهم ومولاهم بالسواء. ومن شهد أحداً أربعة آلاف درهم. وفرض لأبناء البدريين ألفين إلا حسناً وحسيناً فأنه ألحقهما بفرضية أبيهما لقرابتهم من الرسول ﷺ، ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف درهم ، وفرض للعباس خمسة آلاف درهم لقرابته برسول الله ﷺ. ولأزواج النبي ﷺ أثني عشر ألف درهم، وفرض لمن هاجر قبل الفتح لكل رجل ثلاثة آلاف درهم، ولمسلمة الفتح ألفين.

---

(١) وفي الحديث: من أحيا أرضاً ميتة فهي له. رواه البخاري عن عمر رضي الله عنه جـ٢ص٤٨/باب من أحيا أرضاً مواتاً والترمذي (١٣٧٨) وأبو داود عن سعيد بن زيد رضي الله عنه.

وفرض للنساء المهاجرات حسب السابقة وقرابتها من رسول الله ﷺ. وكان عمر يفرض للطفل المنفوس مائة درهم، ثم يضاعفها إذا ترعرع، فإذا بلغ زاده.

وعن جعفر الصادق بن محمد عن أبيه قال: استشارهم عمر في العطاء بمن يبدأ فقالوا: ابدأ بنفسك، قال فبدأ بالأقارب من رسول الله ﷺ قبل قومه.

وعن أنس بن مالك قال: رأيت قميص عمر بن الخطاب مما يلي منكبيه مرقوعاً برقع. وعن الحسن بن علي قال: أن عمر بن الخطاب كان في إزاره أثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم ، وهو أمير المؤمنين إن الله يأتي أمره أنى شاء.

اغتيال عمر بن الخطاب

يجمع المؤرخون المسلمون على أن اغتيال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان نتيجة خطة يهودية مجوسية رومية، نفذت على يد أبي لؤلؤة الفيروز العبد المجوسي، وحيكت في الظلام بأيدي مجموعة من ألد أعداء الإسلام.

ويروي الطبري وابن كثير في تاريخهما، حادثة استشهاد عمر الفاروق التي اختصرها الشيخ محمد الخضري في كتابه تاريخ الأمم الإسلامية فيقول: كان المسلمون يسْبون من أبناء فارس ومن جاورهم من العجم الوثنيين في حروب الفتح الإسلامي في إيران وأرض المشرق، وكانوا يتخذون أسرى الحروب عبيداً لهم، وقد أحضروا عدداً منهم إلى المدينة، وقد كثر عدد هؤلاء الموالي أثناء فتح العراق وفارس في عهد عمر رضي الله عنه وكان بعض هؤلاء يختلفون إلى الهرمزان (أحد القواد الفرس في الدولة الساسانية التي سقطت بعد الفتح الإسلامي) الذي أضاع عمر مركزه وملكه وأقامه في المدينة كغيره من الموالي والجنود في الجيش الفارسي المكسور والمنقرض.. ومن هؤلاء السبايا رجل اسمه فيروز، ويكنى بأبي لؤلؤة، وكان هذا الغلام مولى للمغيرة بن شعبة وكان مجوسياً.. فبينما كان عمر رضي الله عنه يطوف يوماً في السوق لقيه ذلك الغلام فقال: يا أمير المؤمنين، عليَّ خراج كثير، قال: وكم خراجك ؟ قال: درهمان في كل يوم، فقال عمر: وما

حرفتك؟ قال: نجار ونقاس وحداد، قال: فما أرى خراجك للمغيرة بكثير.. وقد بلغني أنك يمكن أن تعمل رحن تطحن بالريح، قال: نعم، قال: فاعمل لي رحى، قال: إن عشت لأعملن لك رحى يتحدث بها من في المشرق والمغرب ثم انصرف عنه، فقال عمر: لقد توعدني العبد. فلما كان من الغد، جاءه كعب الأحبار، فقال: يا أمير المؤمنين، أعهد فأنك ميت في ثلاثة أيام، قال: وما يدريك: قال: أجده في التوراة، قال عمر: والله أنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال: اللهم لا، ولكن أجد صفتك وحليتك وانه قد فنى أجلك، وعمر لا يحس وجعاً ولا ألماً. ثم جاءه كعب الأحبار في اليوم الثاني والثالث، ليؤكد عليه تلك النبوءة [1].

وفعلاً نفذ أبو لؤلؤة الفيروز وعيده، وقتل الإمام العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي وصف الإمام علي خلافته وانتشار العدل والأمانة في عهده بقوله له: (يا أمير المؤمنين لقد عففت فعفت الرعية، ولو رتعت لرتعوا)[2]، قتله في صلاة الفجر في أواخر شهر ذي الحجة لسنة ٢٣ هـ حيث طعنه بخنجر ست طعنات، إحداهن تحت سرته، وهي التي قتلته وقتل معه كليب بن أبي البكير الليثي وكان خلفه في الصلاة، ونادى عمر عبد الرحمن بن عوف، وقال له: تقدم فصل بالناس وعمر طريح، ثم احتمل فأدخل داره، وقال: من الذي قتلني؟ فقال ابنه عبد الله بن عمر: قتلك أبو لؤلؤة، فحمد الله إن لم يقتله رجل سجد لله سجدة، وقد كانت وفاته في الأول من المحرم لسنة ٢٤هـ، وقد طعن فجر يوم ٢٧ ذي الحجة سنة ٢٣هـ.

وشاع بين المسلمين عقب طعن عمر، إن قتله لم يكن عمل أبي لؤلؤة بل كان هناك أشخاص اشتركوا في دمه فقد قال عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق غداة طعن

---

(١) وكان كعب هذا يهودياً فأسلم في عهد عمر، وهو ممن أفاض علينا ثروة من الأخبار الإسرائيلية التي لا ندري ما حقيقتها.

(٢) انظر :طبقات ابن سعد، والإصابة في تمييز الصحابة/لابن حجر، في ترجمة عمر رضي الله عنه، بقول ابن سعد: لما رأى عمر رضي الله عنه كنوز كسرى التي وصلت المدينة عاصمة الخلافة الراشدة بعد انتصار المسلمين في معركة القادسية، وقد كانت هذه الكنوز لا تحصى عددا ولا تقدر بثمن، قال عمر تقديرا لجنده : إن قوما جاءوا بهذا لأمناء، فأجابه وزيره المقرب علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لقد عففت فعفت الرعية ولو رتعت لرتعوا.

عمر: مررت على أبي لؤلؤة أمس ومعه جفينة[1] والهرمزان وهم نجي، فلما رهقتهم ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان، نصابه في وسطه، فانظروا بأي شيء قتل عمر، فجاءوا بالخنجر الذي ضرب به أبو لؤلؤة، فإذا هو على الصفة التي وصفها عبد الرحمن، وكان رجل من تيم قد تبع أبا لؤلؤة فقتله وأخذ منه الخنجر[2]. فلما رأى ذلك عبيد الله بن عمر أمسك حتى مات عمر، فاشتمل على سيفه فأتى الهرمزان فقتله، ثم مضى حتى أتى جفينة فقتله.

ولما سمع بذلك صهيب ﷺ وهو القائم مقام الخليفة، أرسل إلى عبيد الله بن عمر من أتى به وسجنه، حتى يتم أمر الاستخلاف وينظر في أمره. فحكم عثمان ﷺ في هذه القضية بعد التشاور، بأن جعلها دية واحتملها من ماله، لصعوبة التحقق في دور الجناة في قتل عمر، وحجم ذلك الدور، ولتسرّع عبيد الله بن عمر إلى قتلهم دون الرجوع إلى القضاء، وهي أول قضية نظر فيها عثمان في عهده[3].

إن مقتل عمر ﷺ كان أول فاجعة كبرى واجهت المسلمين في أوج عظمتهم وقوتهم الروحية والمعنوية والمادية في عهد الفتح والانزياح في الأرض لنشر رسالة الإسلام شرقاُ وغرباً وباكورة التآمر على الإسلام وصد نوره وقوته بعد تمكنه من الطواغيت والقوى الكبرى والنفوس والشعوب العطشى لعدالة الإسلام ونوره المبين: ولعله أول تحالف لقوى الظلم والجهل والشرك والوثنية والشيطان ضد الحق والتوحيد الذي منَّ الله به على العالمين.

ولعل شهر محرم الحرام الذي شهد في مطلعه استشهاد عمر الفاروق ﷺ وفي العاشر منه استشهاد الحسين ﷺ هو نفسه الشهر الكريم الذي يحتفل به المسلمون لمناسبة الهجرة النبوية الشريفة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة. فهو الشهر الحرام الذي شهد هذه المآثر والمكارم والتضحيات الإسلامية، يدعو المسلمين إلى توحيد

---

(١) وهو من نصارى الحيرة، أقدمه سعد المدينة لتعليم المسلمين الكتابة.

(٢) تاريخ الطبري/ جزء ص١٩، وفي رواية ثانية أن أبا لؤلؤة انتحر بعد أن قتل بضعة عشر رجلاً من المسلمين المصلين في المسجد النبوي بعد طعن عمر أثناء الصلاة.

(٣) تاريخ الطبري ج٤ ص١٩٥، تاريخ الأمم الإسلامية/ محمد الخضري ج٢ ص٢٥.

الجهود والصفوف والتواصي لكشف تآمر الأعداء ودور محاور التآمر لبث سمومهم بين المسلمين، فحق لنا الاحتفال بتلك الذكريات العظام.

لمحة عن حياة عثمان بن عفان

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي، ولد بعد عام الفيل بست سنوات، وكان من السابقين إلى الإسلام، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ إلى دار الأرقم، وزوجه رسول الله ابنته رقية، وهاجر بها إلى الحبشة ثم عاد وهاجر بها إلا المدينة، ولما وقعت غزوت بدر، كانت زوجته رقية مريضة، فأمره رسول الله أن يبقى معها ولم يأذن له بالخروج إلى بدر، وضرب له بسهم من غنائمها، وتوفيت رقية، فزوجه رسول الله ﷺ ابنته الأخرى أم كلثوم. ولذلك سمي (ذو النورين)[1] وكان عثمان يواسي المسلمين بماله وجاهه، ويسند رسول الله ويعضده في المواقف الحرجة. وحين أرسل رسول الله يفاوض قريشاً عند صلح الحديبية. أبطأ عثمان في مكة، فخشي رسول الله على عثمان من قريش، وبلغته أخبار عن اعتقال عثمان في مكة، فخشي رسول الله على عثمان من قريش. فندب رسول الله ﷺ أصحابه إلى البيعة على الجهاد والقتال، فبايعه الصحابة، وبايع رسول الله ﷺ نفسه عن عثمان، وضرب يده اليمنى بيده الأخرى وقال: اللهم هذه بيعة عثمان. وسميت هذه البيعة (بيعة الرضوان وبيعة الشجرة). وقد بذل عثمان كثيراً من ماله في سبيل الله، وكان غنياً واسع الغنى، وقد جهز ألف غازٍ من الصحابة في جيش العسرة لغزوة تبوك واشترى بئراً في المدينة وهو بئر رومة من يهودي كان يمنع الناس من شرب الماء، وجعله وقفاً للمسلمين، وفي زمن القحط والمجاعة، جاءته قافلة من الشام محملة بالحبوب والزبيب والغذاء، فجاءه التجار

(١) ولم يتزوج رجل، بنتي نبي –قبله– وهذه فضيلة امتاز بها عثمان رضي الله عنه عن غيره من أتباع الأنبياء.

ليشترونها فدفعوا فيه ما يوازي قيمتها، فقال لهم ادفعوا لي أكثر فدفعوا الضعف ثم الضعفين، وهو يقول دفعوا لي فيها أكثر، فيئس التجار وسألوه من دفع أكثر من ذلك، فقال: اللّه سبحانه أعطاني عشرة أمثالها واللّه يضاعف لمن يشاء، فوزع البضائع مجاناً إلى فقراء المسلمين وجياعهم، وبعد مقتل عمر أوصى بالخلافة أن تكون بعده في ستة رجال، ينتخب الخليفة من بينهم، هم عثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص، وانتخب هؤلاء الستة، عثمان، وبايعه الناس، وهو الذي جمع القرآن الكريم، ووزع نسخاً منه في الأمصار، وفتح اللّه في عهده بلاداً واسعة في المشرق والمغرب. واستمرت خلافته اثني عشرة سنة، ثم قتل شهيداً في داره يوم ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥ هـ وهو ابن اثني وثمانين سنة ودفن في البقيع، ومناقبه مذكورة وفضائله مشهورة.

تزوج عثمان ﵁ خمس نسوة بعد وفاة بنتي رسول اللّه ﷺ آخرهن نائلة بنت الفرافصة التي شهدت مقتله يوم الدار ووقته بيدها حين ضرب بالسيف فقطعت أصابعها. وله من الأولاد عبد اللّه من بنت رسول اللّه ﷺ رقية، وبه يكنى. وسعيد وأبان وعمر وعمرو والوليد ومريم وأم سعيد.

وعن محمد الباقر بن علي بن الحسين قال: بعث عثمان إلى علي يدعوه وهو محصور في الدار فأراد أن يأتيه، فتعلقوا به ومنعوه، قال فحل عمامة سوداء على رأسه وقال: اللهم لا أرضى بقتله ولا امر به، واللّه لا أرضى قتله ولا آمر به. وعن نافع قال: أصبح عثمان يوم قتل يقص رؤيا على أصحابه رآها، فقال: رأيت رسول اللّه ﷺ البارحة، فقال لي: يا عثمان أفطر عندنا، قال فأصبح صائماً وقتل في ذلك اليوم (رحمه اللّه).

دم عثمان بن عفان

يعتبر استشهاد عثمان ﷺ ودمه الذي أهدره الغلاة الذين تمردوا على الخليفة ثم حاصروا المدينة عاصمة الخلافة ثم قتلوه منعطف خطير في تاريخ الإسلام، فتح باب الانشقاق والاختلاف والحروب الأهلية بين المسلمين، كما يعد قميص عثمان الذي اشتهر في التاريخ حتى أصبح مثلاً عالمياً سواء في الشرق أو الغرب، يرمز للمطالبة بدم القتيل والاقتصاص من قتلته وسبباً لنقد الحاكم والخروج عليه، ف د خرج على الخليفة علي ﷺ العديد من الأشخاص والقادة والولاة والتيارات، بسبب المطالبة بدم عثمان والقصاص من قتلته وكانت معركتي الجمل وصفين، قد وقعت بسبب مقتل عثمان ﷺ وما أثارته من فتنة عاتية بين المسلمين، أدت إلى الاضطراب السياسي والفتن والحروب الداخلية وتوقف عمليات الجهاد الإسلامي والفتوح في جهاتها الأربع، وانشغال الخليفة بهذه الأحداث والفتن والاضطرابات، ونقل مركز الخلافة من المدينة إلى الكوفة في العراق، فكان عثمان أول خليفة وقائد مسلم يقتل عمداً بعد محاصرته من قبل مجموعة تحالفت على الشر، يدفعها الجهل والظلم والسذاجة، وتقودها خفية القوى المعادية والمتآمرة على دولة الإسلام من اليهود والمجوس والروم والغلاة وغيرهم من أهل النفاق والمصالح، لزعزعة كيان الدولة الفتية بقتل واستئصال رموزها وقادتها، بعد خلق وتضخيم المبررات لهذا العصيان المسلح، فإذا كان مقتل عمر ﷺ قد تم نتيجة تآمر أفراد قلائل على شخص الخليفة وقتله في المسجد النبوي، فإن مقتل عثمان قد تم وفق تآمر قوى وتيارات وجموع من الغوغاء الواقعين تحت تأثير حفنة من العملاء والأعداء. مستغلين الظروف المواتية التي مرت بها دولة الخلافة الراشدة بعد أن أصبحت مترامية الأطراف، فحاصروا العاصمة ثم قتلوا الخليفة عثمان بعد حصاره اثنين وعشرين يوماً، مستغلين موسم الحج وخلوّ المدينة من الحماية، واطمئنان الناس إلى موسم الحج، فلم يشعر الصحابة الموجودون في المدينة حتى وصلهم نعي الخليفة وخبر مقتله في بيته بتلك الصورة البشعة، فبهت

الناس ولم يعرفوا ما يفعلون، وقد احتل القتلة المدينة بعد مقتل الخليفة، ويذكر المؤرخون إنهم جاءوا من البصرة والكوفة ومصر، وان عددهم يصل إلى عشرة آلاف رجل من الأعراب والموالي وغيرهم، ولكي نكون على بينة من الظروف التي سبقت مقتل عثمان، سنحاول استعراض بعض الأحداث الأساسية التي سبقت تلك الفتنة الرهيبة.

لقد شهد عهد عثمان ﷺ في آخره، نوعاً من الاضطرابات والخروج والفتن. بعد أن كان عهده عهد فتوح واستقرار ورخاء خلال النصف الأول من حكمه الذي دام اثنتي عشرة سنة، وكان مصدر هذه القلاقل والفتن جموع من البصرة والكوفة ومصر، معترضين على عدة أمور في سياسة عثمان، ويجمع المؤرخون على أن ذلك الخروج كان يضم فيما يضم بعض رؤوس الغلو والنفاق من أعداء الإسلام، وبتخطيط ومتابعة من اليهود والمجوس والروم وخططهم الخفية، وكان على رأس هؤلاء رجل يهودي يدعى عبد الله بن سبأ، أصله من اليمن، تظاهر بالإسلام وركب موجة الخروج على الخليفة وأثار الفتنة، وهي خطة سبق أن نفذها اليهود مع النصارى بعد عصر المسيح ﷺ، حيث ظهر شاؤل اليهودي (وهو بولص) بعد وفاة المسيح وادعى إلوهية المسيح وقيامه بعد وفاته وأنه رسول بعثه المسيح لهداية النصارى وغيرهم من أهل فلسطين والشام والعالم، وقد نجح اليهود في ذلك التآمر واستطاعوا أن يدخلوا في العقيدة المسيحية الكثير من البدع والعقائد الغريبة على رأسها عقيدة تأليه المسيح واعتباره ابن الله، والإله المجسد بشكله البشري لهداية الناس، فقالوا باجتماع اللاهوت والناسوت في شخصية المسيح وغيرها من المستحدثات والاختلاقات على الدين الحق الذي جاء به السيد المسيح في الإنجيل. في حين أن اليهود فشلوا في تآمرهم على الإسلام بمحاولة بث العقائد السيئة وتأليه الإمام علي وذريته من بعده والغلو في الدين، وإثارتهم الفتن ومحاولة تحريف القرآن والقضاء على رسالة الإسلام.. رغم الجهود الكبيرة التي بذلوها لإثارة الفتنة والحروب بين المسلمين، حيث نجحوا في ذلك جزئياً..

ورغم أننا لا ندعي أن هذه الفتنة كانت بتفاصيلها من صنع هذا اليهودي وأعوانه، فان للفتنة أسباباً عديدة، غير أن إنكار وجود ابن سبأ – كما حاول

المستشرقون في العصر الحاضر القول به وتابعهم بعض الكتاب من المستغربين وبعض والشيعة المعاصرين، على الرغم من إجماع علماء السنة والشيعة على وجوده ودوره في الفتنة في زمن عثمان وعلي – لا يقل شططاً من تضخيم دوره وأفعاله أفعاله، وجعله السبب الأوحد لهذه الفتنة الكبيرة التي أدت في النهاية إلى مقتل الخليفة نفسه، وإلى انقسام المسلمين إلى طوائف وفرق متناحرة ومتصارعة.

لقد كان مقتل عثمان ﷺ بداية تصدع عصر الوحدة والأخوة والتلاحم بين المسلمين ولا شك إن من بين أسباب مقتله الرئيسية ودوافعه وجود تلك الأصابع الخفية، من بقايا الأنظمة التي قضى عليها الإسلام في فارس والروم، وحقد أصحاب العقائد المقهورة أمام قوة الإسلام المتعاظمة ، ولا شك إن هناك أسباباً أخرى منها، التطور السريع في المجتمع الإسلامي ونموه السياسي والاقتصادي والاجتماعي بعد توسع الفتوح ودخول شعوب عديدة في دار الإسلام، كما أن للأخطاء البشرية التقليدية لبعض الولاة دوراً في تفاقم الأزمة واستفحالها. ومن ثم انتهائها بتلك الصورة المخيفة التي أتت على استقرار النظام السياسي للدولة، الذي استمر أكثر من ربع قرن. أما الفرقة والتطرف والعصبية فما يزال أثرها لحد الآن، وصدق عثمان ﷺ حين تنبأ أثناء حصاره، أن قتله سيفتح باب الفرقة والتحزب. فعن أبي ليلى الكندي قال: شهدت عثمان وهو محصور، فأطلع من كوته وهو يقول: يا أيها الناس لا تقتلوني فو الله لئن قتلتموني لا تصلّون جميعاً أبداً. ولا تجاهدون عدواً جميعاً أبداً، ولتختلفن حتى تصيروا هكذا، وشبك بين أصابعه، ثم قال: يا قوم لا يجرمنّكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح، وما قوم لوط منكم ببعيد[١].

وإذا رجعنا إلى حادث استشهاده ومحاصرة بيته، نرى أن هذه الأمور كانت تجري وفق خطة مسبقة ومعدة لإضعاف الدولة الإسلامية وتمزيقها وإثارة الفتنة التي أدت –فيما بعد– إلى مقتل العديد من أهل البيت والصحابة وأبنائهم وعلى رأسهم طلحة والزبير وعمار وعلي والحسين وابن الزبير وغيرهم من عظماء الإسلام، يقول الشيخ الخضري نقلا عن الطبري عن حادثة مقتل عثمان:–

(١) طبقات ابن سعد/ ترجمة عثمان بن عفان ﷺ

ابتدأت الفتنة بعد أن أعلن الغوغاء والغلاة في مصر والبصرة والكوفة ثورة على عثمان وانتقاد حكمه وتقريبه لأهل بيته وتجـريح ولاتـه تحـت شـعار الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر الذي رفعه ابن سبأ وأتباعه، بغية إثارة الفتنـة بـين المسـلمين وقـرر هؤلاء إعلان الثورة والعصيان، وجعلوا من موسم الحج سبباً للقائهم وإعـلان مطـالبهم، وتوالت الأحداث بوصول وفود الثائرين من مصر والبصرة والكوفة. وانتهوا بعد سلسـلة من الأحداث خلال سنة ٣٥هـ إلى التضييق على عاصمة الخلافة في المدينـة ومحاصـرة الخليفة عثمان في داره ثم قتله بعد ذلك.

استمر الحصار على عثمان واشتد عليه حتى منعوه الماء، فكـان لا يصـل منـه إليه شيء إلا خفية، وكان عثمان يطل عليهم من آن لآخـر ويعظهـم فـلا تـؤثر فـيهم الموعظة ثم شددوا عليه الحصار لما بلغهم أن جندا من الأمصار أقبلـت لنصـرة عثمـان. وأراد المحاصرون التعجيل بالأمر خوفاً مـن خطـر يفـاجئهم. فـأحرقوا أبـواب الـدار، ومنهم من تسور دار ابن حـزم الأنصـاري وكـان جـاراً لـه، ولمـا رأى ذلـك عثمـان ﷺ استسلم للقضاء، وأمر من يريد الدفاع عنـه أن ينصـرف، ودخـل عليـه جماعـة فتقـدم أحدهم وهو رجل يدعى الغافقي فضربه بحديده كانت معه، ٠وجاء سودان بن حمران ليضربه فأكبّت على عثمان زوجته البارة نائلة بنـت الفرافصـة واتقـت السـيف بيـدها فغمدها وقطعت أصابع يدها، ثم هـوى عليـه بعضـهم فضـرب عنقـه، وانتهبـوا مـا في البيت واخرجوا من فيه، ثم أتـوا بيـت المـال فـانتهبوه وأذاعـوا بالمدينـة خـبر قتلـه، وكانت مدة حصاره اثنين وعشرين يوما. وكان قتله يوم الثـامن عشـر مـن ذي الحجـة سنة ٣٥هـ وذلك بدء افتتاح التاريخ المشؤوم(١).

في خضم أحداث الفتنـة يبـدو للنـاظر أول وهلـة، إن دار الخلافـة والخليفـة نفسه كانا وكأنهما بدون حماية كافية لدرء مثل هذه الأخطار عن الدولة الإسلامية وأن العاصمة كانت تبدو وكأنها خالية من الجند، ورغم تفاقم الأحداث والشـغب في مصـر والبصرة والكوفة في السنوات الأخيرة مـن حكـم عثمـان ﷺ حتـى حصـار المدينـة، لم يتخذ الاحتياطات اللازمة لقمع التمرد والحفاظ على الأمن والنظام، كما يبـدو أن هـذا

(١) تاريخ الطبري: ٣٩٦/٤، تاريخ الأمم الإسلامية/ الشيخ محمد الخضري بك/ ج٢/ ص٤٢.

الوضع كان يتكرر مع بقية خلفاء العصر الراشد وهو يدل على أن الصحابة رغم تقلدهم أعلى المناصب والمواقع في إدارة الدولة، التي كانت تمثل أكبر دولة في العالم آنذاك. لم يستشعروا أنهم قد غنموا مغنماً أو حصلوا على امتياز يميزهم عن غيرهم من الرعية، ويستدعي حمايتهم وأحاطتهم بهالة من الحجب والمظاهر أو القداسة والتعالي، فلم يرغبوا في تطبيق النظم والضوابط الإدارية والأمنية التي كانت سائدة ومعروفة في الدول غير الإسلامية المجاورة، بل كانوا يتأسون بقدوتهم النبي المصطفى ﷺ في البساطة والتواضع والزهد في الدنيا والملك وقد اضطر ذلك الوضع ، معاوية وغيره من الخلفاء الذين جاءوا من بعده إلى سد تلك الثغرة الأمنية التي استغلها الأعداء لاغتيال عظماء الإسلام واتخاذ الحرس والحجاب والوسائل الأمنية الضرورية للمحافظة على حياة الخليفة ورموز الدولة وهيا كلها الأخرى.. وقد شجعت تلك الثغرة قتلة عمر رضي الله عنه إلى المضي، بخطوات واثقة لتفيد خطبهم الجبانة وقتله في المسجد النبوي وبين وزرائه من صحابة الرسول ﷺ[1] وفي عهد عثمان استغل الغوغاء موسم الحج لتنفيذ خطتهم الأثيمة. فشجعهم تجمع المسلمين لأداء فريضة مقدسة، للتوافد إلى المدينة والتآمر على الخليفة وحصاره ثم قتله. والأمر نفسه حدث مع الخليفة الرابع فيما بعد – حينما خطط ونفذ الخوارج قتله بأيسر السبل، فقتل في صلاة الفجر في مسجد الكوفة[2].. ومما زاد في عزلة الخليفة عثمان وساعد على تسهيل مهمة المتآمرين، أن جيش الخلافة كان منتشراً في الثغور على حدود الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، إذ كان

(١) نشير هنا إلى سيادة القانون وحصانة الفرد في الدولة الإسلامية، وعدم استساغة كبار الصحابة والخلفاء تشجيع الصيغ العرفية في التعامل مع الرعية حتى أثناء الفتن ووجود تهديد للأمن عموماً .أما مبدأ حماية الإمام وحراسته فهو موجود في السيرة وكان الصحابة يقومون بحراسة النبي ﷺ حتى عصمه الله تعالى كما في الآية الكريمة ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ فقال الرسول ﷺ للصحابة: لا حاجة لي بالحراسة بعد اليوم، فقد عصمني الله عز وجل.

(٢) وقد اختلفت القناعات حول أيهما أولى بالحماية عظماء الإسلام (الخلفاء والعلماء والدعاة) أم المبادئ التي بشر بها الإسلام وعلى رأسها إقامة العدل وعدم الأخذ بالشبهات وعدم تميز الراعي عن الرعية.

النصف الأول من عهد عثمان عهد فتوح وجهاد ورخاء واستقرار[1].. كما كان بقية الجند بإمرة ولاة الأمصار. وقد حاول معاوية نصرة المدينة وفك الحصار عن الخليفة[2] وأرسل جيشاً من الشام إلى المدينة، لكنه لم يصل في الوقت المناسب ، إذ أن أهداف المتآمرين لم تكن واضحة في بداية الحصار، وذلك لتوافق الأحداث مع موسم الحج، فما أن انتهى الموسم، حتى شدد المحاصرون الخناق، وفي ١٨ ذي الحجة كان الخليفة قد استشهد فرجع جيش الشام أدراجه حين سمع بمقتل الخليفة قبل وصوله المدينة بأيام[3] وأثناء الحصار لم يكن موقف علي ﷺ أفضل من ظرف ابن عمه وعديله وصاحبه عثمان ﷺ. إن حاول جاهداً أن يفك الحصار عن الخليفة بإقناع المتمردين بالعدول عن طوقهم الغاشم حول المدينة ولكنه لم يفلح ، وقد ساهم مع بقية الصحابة بإيصال الماء إلى دار عثمان، وأرسل ابنيه الحسن والحسين مع بقية أبناء الصحابة للدفاع عنه. وبينما كان الصحابة وعلى رأسهم علي ﷺ يرجون انفراج الأزمة بعد انتهاء موسم الحج وعودة الحجاج إلى أمصارهم ومجيء الجند إلى المدينة، استبق المتمردون الأمر وفعلوا فعلتهم المشؤومة بقتل الخليفة ثم التمثيل به ونهب بيته وبيت مال المسلمين[4]، ومهما يقال بشأن التمرد والثورة على عثمان وأسبابها وما اخذ عليه فإنه من الصعب تحديد عامل واحد لها سواء كان عامل دور الغلاة أو ردّها إلى سياسة عثمان الإدارية اللينة، إذ تداخلت معها الملابسات والظروف الأخرى مع عوامل اقتصادية واجتماعية، نتيجة التطور السريع للدولة والمجتمع مع أمور دينية واجتهادية أخرى. هذه الأسباب مجتمعة هيأت أجواء التمرد والعصيان والثورة، وأخصبت التربة لمن كان ينتظر مثل هذه الفرصة من الأعداء ليعمل على تحقيق ما

---

(١) لقد كان عهد عثمان الأول مشرّفاً وحافلاً بالاستقرار والانتصار، يذكر البلاذري أن عثمان عاش اثنتي عشرة سنة أميراً فمكث سنين لا ينقم الناس عليه وأنه أحب إليهم من عمر. لشدة عمر ولين عثمان: (أنساب الأشراف ٥/٢٥)

(٢) ومما أخر وصول الجيش، موقف الخليفة عثمان ﷺ الرافض لإراقة الدماء وعدم طلبه النصرة من أحد.

(٣) الطبري/ج٦/ص٣١٨، ابن كثير/ج٧/ص١٨٥ والمسعودي/ مروج الذهب/ج٢ ص٢٣٣.

(٤) تاريخ الطبري/ ج٤ ص٣٦٥-٣٩٦، ابن كثير: ج٧ ص١٨٥.

يصبو إليه من بث روح الشقاق بين المسلمين، وكانت السبئية من أبرز تلك القوى التي استثمرت هذه الظروف والأحداث السياسية ووجهتها لمصلحتها في تفجير الصراع الدموي الذي كان باكورته بعد قتل عثمان حروب الجمل وصفين والنهروان وما جرى بعدها من أحداث مؤلمة وتصدع جاء على الجبهة الإسلامية، فتوترت الأحوال بعد مصرع عثمان الذي لم يكن يتوقعه الصحابة، وعلى رأسهم علي وطلحة والزبير، وكانت المدينة تعج بالمتمردين الذين تصفهم بعض الروايات بأنهم من شر الناس وأرذل الناس وأن عددهم يصل إلى عشرة آلاف شخص وفدوا من مصر والبصرة والكوفة[1].

لمحة عن حياة علي بن أبي طالب

علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي، ويكنى الإمام علي أبا الحسن وأبا تراب، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهو ابن عم رسول الله ﷺ، أول من أسلم من الفتيان، كان عمره حين أسلم دون العشر سنوات، وكان عضد رسول الله ﷺ، وزوجه رسول الله ﷺ ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها بعد الهجرة وبات في فراشه ليلة الهجرة، ثم هاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وأبلى بلاءً حسناً، وكانت معه راية النبي ﷺ في فتح خيبر، وأبقاه رسول الله ﷺ في أهله في غزوة تبوك، وكان شجاعاً فارساً، وبليغاً في خطبه، وشاعراً بارزاً، وحكيماً في أقواله وكان عالماً فقيهاً بين الصحابة، وكان زاهداً ورعاً كثير العبادة، له حكم كثيرة ومواعظ شهيرة. وقد ولي الخلافة بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه آخر سنة ٣٥هـ.

وكان من شعراء الصحابة البارزين، أنشد قصائد عديدة وبليغة، غاية في الروعة والجمال، في بدر والخندق وغيرها من المواقع والمناسبات. وهو أبرز أهل البيت

---

(١) ابن كثير/ جح٧ ص١٧٥، البلاذري انساب الأشراف/ ص٤١٢، وانظر الملل والنحل/ ابن حزم ١٦١/٤٠.

وأقربهم وأحبهم إلى النبي الكريم ﷺ وأبو الحسنين السبطين الحسن والحسين، اللذين فيهما نسل النبوة الطاهر، ومن عقبه أزهرت السلالة الحسنية والسلالة الحسينية، وانتشر أحفادهما في العالم الإسلامي حتى اليوم، كان له من الولد الحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى، وأمهم فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ومحمد بن الحنفية، وأمه خولة بنت جعفر، وقصة تسري علي رضي الله عنه بخولة الحنفية تعود إلى حروب الردة في زمن أبي بكر الصديق ومعركة اليمامة التي قضى فيها المسلمون على مسيلمة الكذاب وفتنته، ويذكر ابن كثير الحادثة في تاريخه فيقول ما مختصره[1]:

بعث الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد إلى قتال مسيلمة وعلى الأنصار ثابت بن قيس بن شماس، وبعث قبله عكرمة بن أبي جهل، وشرحبيل بن حسنة، وكانت راية المهاجرين مع سالم موسى أبي حذيفة، وعلى المجنبتين زيد بن الخطاب وأبو حذيفة، وقد استشهد في معركة اليمامة الكثير من الصحابة، منهم زيد بن الخطاب، وأبو حذيفة وسالم مولاه، وثابت بن قيس (حامل لواء الأنصار) وحين استعصت باب الحديقة التي كان فيها مسيلمة الكذاب، قام البراء بن مالك أخو أنس بن مالك) بعملية بطولية، وطلب من الجند أن يقذفونه عبر السياج إلى حديقة الموت، ونزل وسط الرماح والسيوف واستطاع أن يقتل عشرة من أهل الردة، وأن يفتح الباب، وأصيب بجروح بليغة. وبعد فتح الباب، دارت معركة شديدة بين الجانبين، وتقدم وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم فرمى مسيلمة بحربته، فأصابه وخرجت من الجانب الآخر، وسارع إليه أبو دجانة سماك بن خرشة[1] فضربه بالسيف فسقط جثة هامدة. وقتل في حديقة الموت وفي معركة اليمامة عشرة آلاف من المتمردين، وقتل من المسلمين ستمائة مقاتل، فيهم كثير من سادات الصحابة وكان من ثمار هذه المعركة قبول علي رضي الله عنه بالتسري بخولة الحنفية وإنجابه منها، وهي هدية الخليفة أبو بكر رضي الله عنه إليه، وفي ذلك دليل شرعية الخليفة وحروب الردة ونفي لرأي بعض الكتاب الذين جنح بهم

(١) البداية والنهاية/ ابن كثير/ ج٦ ص٣٣٠.

(١) وهو الذي جعل جسده لجسد النبي ﷺحين وقع في الحفرة وكسرت رباعيته في معركة أحد.

الخيال حتى تصوروا وجود خلاف بين أبي بكر وعلي حول الخلافة وحول شرعية محاربة المرتدين في عهد الخليفة أبي بكر ﵁.

دور الغلاة في معركتي الجمل وصفين

بعد مقتل الخليفة عثمان ﵁ من قبل المتمردين والغلاة الذين جاءوا من البصرة والكوفة ومصر وكان أكثرهم من الموالي والأعراب المتآمرين المتأثرين بأفكار مروّج الفتنة ومنشأ تيار الغلو بين المسلمين عبد الله بن سبأ اليهودي الصنعاني، وسيطرة هؤلاء المتمردين على العاصمة وانتخاب الخليفة الجديد علي بن أبي طالب ﵁.. في تلك الأثناء ذهب طلحة والزبير (رضي الله عنهما) إلى مكة ليتدارسوا الأمر مع بقية الصحابة الذين كانوا في مكة لأداء شعائر الحج، وأبرزهم السيدة عائشة زوج النبي ﷺ التي هالها التجرؤ على مقام الخلافة ومقتل الخليفة، وغاظها تجرؤ الغوغاء والجهلة على عثمان والاستهانة بدمه بعد حصاره، وكان خبر استشهاد عثمان صاعقاً لأهل مكة أيضا. فقرر طلحة والزبير وعائشة وبعض أقارب عثمان وأبناؤهم ملاحقة القتلة في أمصارهم فذهبوا إلى البصرة أولاً، ثم كان هدفهم الآخر الكوفة للقصاص من القتلة مباشرة، وقد تعذر تنفيذ القصاص من قبل الخليفة نفسه، لأنهم كانوا يملكون القرار في المدينة ولا يملكه الخليفة، كما صرح الخليفة علي ﵁ حينما طلبوا منه تنفيذ القصاص فقال: كيف نقتص من أناس يملكوننا ولا نملكهم[1]، وكان طلحة والزبير ﵄ قبل ذلك قد حضروا ملابسات اختيار خليفة جديد في المدينة بعد عثمان ﵁، وكانوا قد اشترطوا على الخليفة علي ﵁ القصاص من القتلة بعد انتخابه، وكان القتلة يدركون أن بقاء المسلمين بدون خليفة يشكل خطراً عليهم ونذير فوضى هم أول ضحاياها،

(١) انظر: تاريخ الطبري وابن كثير.

فقرروا أن لا يتركوا المدينة حتى ينتخبوا خليفة، وكان المرشحون الثلاثة لذلك، هم كبار الصحابة علي وطلحة والزبير[1]. فوقع اختيارهم أخيراً على علي ﷺ.

أما الإمام علي ﷺ فلم يستجب أول الأمر لفكرة انتخابه خليفة، وقال لهم ولبقية منتخبيه من المهاجرين والأنصار: دعوني والتمسوا غيري وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً[2]. ويعقب القاضي ابن العربي على بيعة علي ﷺ فيقول: لم يتخلف عن بيعته أحد، وأما نصرته فتخلف عنها قوم، لأنها كانت مسألة اجتهادية[3].

وقد ذكّر الإمام علي ﷺ بدوره البارز في عهد الشيخين أبي بكر وعمر ﷺ بكونه كان وزيراً بارزاً للخلافة الراشدة، ذلك لأنه كان يدرك حجم الفتنة وخطر هؤلاء الأعراب والغلاة والغوغاء القادمين من الأمصار، ولكنه استجاب في النهاية لرغبة الأكثرية الساحقة، التي لم تجد غيره كفأً لخلافة المسلمين في ذلك الظرف الصعب، ورأى هو –من جهته– أن قبوله للخلافة واجب يمليه عليه الشرع الحنيف وظرف الفتنة الخطير. وقد حاول الإمام علي –منذ البدء– أن يتخلص من هؤلاء المتمردين، ويحثهم للعودة إلى أمصارهم لأن وجودهم ضمن جيش الخلافة إثارة للفتنة، ودليل اتهام له وللدولة في قتل عثمان ﷺ الذي يعتبره علي ﷺ قد قتل مظلوماً، ولكنه لم يستطع أن يقتص من قتلته لكثرتهم وتغلغلهم في كيان الدولة، ولكن الغلاة والمتمردين رفضوا الانصياع لأمر الخليفة الجديد – عدا بعض الأعراب – وآثروا البقاء ضمن جيش الخلافة، لضمان أمنهم، وكذلك للحفاظ على قدرتهم في التأثير على سياسة الدولة والسيطرة على الخليفة وحركته[4]. وقد صدق حدس الإمام علي – فيما بعد – إذ أصبح هؤلاء القتلة يمثلون محور الأزمة التي أدت إلى الصراع والفتنة والحروب

---

(١) تاريخ الطبري/ ج٣ ص٣٥٨، وابن كثير/ الكامل في التاريخ، ج٣ ص١٥٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٧ ص٣٣، والطبري، ج٦ ص٣٠٦٦.

(٣) العواصم من القواصم للقاضي أبو بكر ابن العربي/ ص١٤٧.

(٤) تاريخ الطبري: ٣٠٨/٦، شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد: ٧/٤ وابن الأثير: ١٩٦/٣. ويروي الطبري في ذلك إن الخليفة علي اصدر أمرا بعد انتخابه يدعو فيه الموالي والأعراب بالعودة إلى أمصارهم فأطاعت الأعراب وأبت السبئية.

حول ما يسمى تاريخيا (قميص عثمان)، وأعطوا المبرر الكافي لخصوم الخليفة ومخالفيه لإحراجه في مسالة القصاص وتسليم القتلة، وتسببوا في إرباك سياسة الخليفة وإثارة الفتنة في جيشه فيما بعد. وكان من نتائج وجود هؤلاء مع جيش الخليفة، خروج طلحة والزبير عليه في البصرة[1]، وهما من أقرب أصحابه وأحبابه فضلاً عن القرابة والنسب والمصاهرة بينهم، فالزبير مثلاً هو ابن عمته صفية بنت عبد المطلب.. وكذلك خروج معاوية عليه في الشام للمطالبة بدم عثمان[2]. وهكذا ابتدأ عهد علي ﷺ باستمرار الفتنة التي أدت إلى نشوب حرب الجمل، ثم بعدها حرب صفين، ثم معركة النهروان، ثم أخيراً مصرعه على يد الخوارج.

قرر الخليفة علي ﷺ الذهاب إلى البصرة بهدف إقناع طلحة والزبير ﷺ بضرورة معالجة مسألة القصاص من القتلة من قبل الخليفة وترك الأمر له فقط والتعاون معه لإخماد الفتنة، والتريث في أمر القتلة. وفعلاً اجتمع الفريقان في البصرة واتفقوا على تصفية الخلافات وترك أمر القصاص للخليفة، يحدد وقته المناسب وفق مبدأ أخف الضررين، ولكن القتلة أدركوا ما في هذا الاتفاق بين الصحابة من خطر على حياتهم، فقاموا في الليلة نفسها بإنشاب القتال بين الفريقين، وذلك بالهجوم –تحت جنح الظلام– على جيش السيدة عائشة ﷺ فاشتعلت الحرب مؤذنة ببدء معركة الجمل[3] التي قتل فيها الكثير من المسلمين من الطرفين، وكان طلحة والزبير ﷺ. قد قتلا غيلة وغدراً خارج ساحة المعركة التي دارت رحاها قرب البصرة وذلك عند انسحابهما من المعركة بعد اتفاقهم مع الخليفة فكانوا أيضا من ضحايا تلك الفتنة

---

(١) يرى المؤرخون إن خروج طلحة والزبير مع عائشة من مكة إلى البصرة لم يكن خروجا على الخليفة علي، وإنما هو من أجل محاسبة قتلة عثمان وردع هؤلاء الغلاة المتمردين من الأعراب والسبئية.

(٢) إن معاوية لم يخرج على الخليفة في باديء الأمر، وإنما لم يبايع، بسبب أزمة قميص عثمان والمطالبة بدمه، ولا نعني بالخروج الثورة على الخليفة، وإنما نقصد الوقوف في صف المعارضة السياسية، وهذا هو الذي حدث.

(٣) تاريخ الطبري ج٤ ص٥٣٤، وابن كثير وابن سعد وابن الأثير.

الدامية، والكيد الخبيث الذي دبره هؤلاء القتلة الغلاة[1] وقد بشر الإمام علي ﷺ قاتل الزبير بالنار[2] كما ورد في الحديث الشريف وأكرم أبناءهما وحزن على مقتلهما أشد الحزن، فهما رفاق الجهاد والصحبة المباركة مع المصطفى ﷺ في غزواته وجهاده وهجرته وبنائه لدولة الإسلام، كما كانا يشاركانه الوزارة والمسؤولية والمشورة في عصر الخلافة الراشدة، ومع الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ. كما أن تلك الصلة المباركة قد استمرت بعد حادثة الجمل، فنرى أن الحسن بن علي ﷺ يتزوج من أم إسحاق بنت طلحة بعد مقتل أبيها، وتنجب له ولداً يسميه طلحة، تيمناً باسم عمه وصديق والده سيدنا طلحة، ثم يتزوجها بعد وفاة الحسن أخوه الحسين، وتنجب له بنتاً هي فاطمة بنت الحسين، التي يتزوجها الحسن المثنى بن الحسن السبط، لتكون جدة الحسنيين بعد جدتها فاطمة الزهراء البتول جدة الحسنيين والحسينيين. أما الزبير فبعد مقتله في واقعة الجمل، تزوج ابنه مصعب بن الزبير من سكينة بنت الحسين. وقد استشهد عنها في الكوفة على يد عبد الملك بن مروان. وهكذا نجد أبناء أهل البيت والصحابة رجال حرب وجهاد، متآخين متناصرين، ولم تمنع الفتن من استمرار المحبة والمصاهرات فيما بينهم، فهم جيل النبوة ونبعه المنير.

وفي حرب الجمل، لم يأخذ الإمام علي الغنائم ولم يسب الأسرى، وأمر بمعالجة الجرحى وإعادتهم إلى أهليهم، فأقر بإسلامهم وأخوتهم في الإيمان، ولم تسلبهم الفتنة حق الأخوة والإسلام مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين. إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾[3]، هكذا كان ينظر الخليفة للفتنة سواء في الجمل وصفين كما أعاد الإمام علي ﷺ السيدة عائشة ﷺ إلى المدينة بصحبة حرس الخليفة. معززة

---

(١) تاريخ الطبري ج٤ ص٥٠٠

(٢) طبقات ابن سعد/ ترجمة الزبير وغيره.

(٣) سورة الحجرات/٩-١٠.

مكرمة، وكانت السيدة عائشة ﵂ قد تصالحت مع الخليفة، بعدما استبان للطرفين أن نشوب الحرب لم يكن بأمر الخليفة، وإنما بكيد الغوغاء وتآمر قادتهم على دولة الإسلام، وبسبب خوفهم من الصلح بين المسلمين وأثر ذلك على مصيرهم[1]. وكان الصحابي الجليل عمار بن ياسر ﵁ يزجر من يتكلم في خروج السيدة عائشة من الغلاة ويقول: أما أني لأشهد أنها زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة[2].

توجه الأمام علي ﵁ بعد ذلك إلى الشام لإخضاع معاوية وأتباعه من أهل الشام وكان معاوية يشعر أنه أحق من غيره بدم عثمان الذي ذهب هدراً، وان لا يترك الجناة دون عقاب، وهو ابن عم الخليفة، المقتول وأقدم ولاته، إذ عين والياً على الشام في عهد عمر ﵁ خلفاً لأخيه يزيد بن أبي سفيان الذي مات في طاعون عمواس أثناء أمارته على الشام[3]، فجعل من نفسه ولياً لعثمان وله السلطان الشرعي للمطالبة بدمه والقصاص من قتلته، مستدلاً بنص القرآن: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً، فلا يسرف في القتل انه كان منصورا﴾[4].

ولكن الخليفة ﵁ كان يرى أنه هو الذي يحدد الجناة ووقت القصاص وفق ما يقرره الشرع، باعتباره الخليفة الشرعي وولي أمر المسلمين وصاحب السلطة القضائية والتنفيذية، وعلى معاوية – أولاً – أن يبايع الخليفة المنتخب، ثم يقدم مطالبه وشكواه للخليفة، ولكي يحصل على إقرار الخليفة له باستمرار الولاية على الشام، ولقد كانت الهوة واسعة بين وجهتي النظر، فأدت في النهاية إلى تفجر الموقف بين معاوية والخليفة الجديد سيدنا علي ﵁ مما حدا بالخليفة إلى عزله عن ولاية الشام واعتباره خارجاً عن الطاعة، وقد اعترض بعض أنصار الخليفة على قرار العزل، لكثرة أنصار معاوية في الشام وخوفاً من تصدع وحدة الدولة الإسلامية، وكأن من هؤلاء المعترضين ابن الخليفة الحسن بن علي ﵁ ولكن الخليفة رأى أن هذا الأجراء هو

---

(١) تاريخ الطبري ج٤ ص٥٢، وكذلك انظر كتاب: الشيعة والتصحيح د.موسى الموسوي ص٤٤.

(٢) طبقات ابن سعد وغيره.

(٣) تاريخ الطبري ج٤ ص٦٢.

(٤) سورة الإسراء/٣٣.

الحل المناسب لإخضاع الشام إلى السلطة المركزية، فأعلن معاوية – من جانبه – العصيان وعدم اعترافه بالخليفة الجديد وعدم المبايعة له ، بحجة المطالبة بدم عثمان ﷺ فما كان من الخليفة إلا الاستعداد لمواجهة هذا الخروج عن حكمه وبدء الصراع والحرب مع الشام بعد أن أخضع البصرة واتخذ الكوفة عاصمة جديدة له بدلاً من المدينة المنورة، فجهز جيشه لقتال الشاميين، وذلك لردع معاوية وعزله بالقوة، وكذلك استعد أهل الشام لذلك اللقاء، فالتقى الجيشان في صفين على ضفاف الفرات، وبعد معركة دامية بين الطرفين، قتل فيها الكثير من المسلمين، وقبل أن ينكسر جيش الشام الذي انهار أمام جيش الخلافة رفع أنصار معاوية المصاحف، مطالبين بتحكيم القرآن فيما بينهم[1]. وقد شعر الخليفة إن في الأمر خدعة، وأن النصر المبين قد اقترب فرفض وقف الحرب. إلا أن أتباعه كانوا قد اختلفوا فيما بينهم بين قبول التحكيم ورفضه، فخرج الخوارج عليه، وكانوا جزءً من جيشه وأجبروه على قبول التحكيم، فوافق عليه في النهاية، مذعناً لرأي الأكثرية، ولكن سرعان ما أنقلب هؤلاء إلى رافضين لفكرة التحكيم، ومكفرين كل من يقبل به، ورفعوا شعار (لا حكم إلا لله، وليس إلى الرجال)[2]. فوقع الخلاف والتشتت والضعف في جيش الخلافة، وبعد ثمانية أشهر من وقعة صفين التي راح ضحيتها عدد من الصحابة كان على رأسهم عمار بن ياسر ﷺ، الذي ورد فيه الحديث النبوي المعروف (تقتلك الفئة الباغية)، التقى الفريقان للتقاضي والتحكيم في مكان قريب من موقع معركة صفين، وكان أبو موسى الأشعري ممثلاً عن الإمام علي ﷺ وأنصاره، وعمرو بن العاص ممثلاً عن معاوية وأنصاره. فكان الحكم الذي أعلنه الحكمان، يقضي بعزل الإمام علي ومعاوية، وأن يكون الأمر من بعدها شورى بين المسلمين. ولما كان هذا الحكم قد ساوى بين الخليفة الشرعي والوالي الخارج عليه ولم يستند في ذلك إلى نص القرآن، وفي الفصل فيما يطالب به معاوية من القصاص من قتلة عثمان ﷺ أو التريث في ذلك، رفضه الخليفة واعتبره حكماً غير شرعي بعيداً عن حكم القرآن، بسبب مساواته بينه وبين الخارج

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص٥٠/ تاريخ ابن كثير ج٧ ص٢٨٠.

(٢) شرح نهج البلاغة/ لابن أبي الحديد، ومعركة صفين/ لنصر بن مزاحم ص٥١٣.

عليه والباغي على حكمه بالاتفاق وكان يرى أن الصواب أن يحكما في طلب معاوية في القصاص من قتلة عثمان ومسألة المطالبة بدمه.

فرجع الخليفة بجيشه وهو أضعف حالا وأكثر تشتتاً واختلافاً بعد أن خرج عليه الخوارج وكفروه وهم جزء من أتباعه قبل التحكيم، كما رجع معاوية بجيشه وهو أكثر قوة وتماسكاً لأن حكم الحكمين كان لصالح معاوية، وقد قبل به الشاميون.

وواجه الخليفة أعداء أشداد جدد يناصبونه العداء، كانوا بالأمس من أنصاره وهم الخوارج فاعتزلوا في حروراء[1]، ثم في النهروان فقاتلهم الخليفة في موقعة النهروان وشتتهم وقضى عليهم، ولكن أتباعهم ظلوا يعملون على تقويض دولة الخلافة وإضعاف سلطة الخليفة وتكفيره حتى استطاعوا اغتياله على يد أحد أفرادهم وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادي[2]، لينتقل أمر الخلافة إلى الأمويين، وأصبح معاوية أول خليفة أموي، بعد أن وصلت إليه الأمور وأصبح الخليفة دون تعب أو جهد، بعد أن تنازل الحسن بن علي رضي الله عنه له عن الخلافة.

والجدير بالذكر أن معاوية بن أبي سفيان كان سياسياً من طراز نادر، وقد استثمر –بحكمة ودهاء– النتائج التي لم يكن يتوقعها بعد التحكيم، ليرسي قواعد الحكم الأموي في الشام لحقبة من الزمن.

---

(١) وهي من أعمال الكوفة وضواحيها

(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص١٥٠ وتاريخ ابن كثير ج٧ ص٨ والأخبار الطوال لأحمد الدينوري ص١٩٧.

اغتيال علي بن أبي طالب

لم يكن اغتيال علي ﷺ إلا نتيجة طبيعية للتصدع والاضطراب الذي أصاب دولة الخلافة الراشدة بعد مقتل عثمان ﷺ وتسرب الغوغاء والغلاة في جسم المجتمع الإسلامي وصعوبة سيطرة الدولة عليهم. وإثارتهم للفتن والشغب وإشعال نار الحروب في عهد الخليفة الراشد الرابع، ومن ثم خروجهم عليه بعد التحكيم في صفين وانتشار أفكار الغلو والتطرف والتخريب التي تبناها السبئيون، الذين تولد منهم تيار الغلاة الباطنيين كرد فعل لظهور الخوارج وتكفيرهم للإمام علي ﷺ.

ويشير الإمام علي ﷺ إلى تغير المجتمع بسبب التطور الهائل الذي شهدته دولة الخلافة بعد الفتوح العظيمة حين سأله أحد المنافقين قائلا: يا أمير المؤمنين.. لماذا كان عهد الشيخين عهد استقرار وفتوح وخير، وعهدك عهد فتن وحروب واضطراب وفرقة، فأجابه إجابة حكيمة، فقال: يا هذا لقد كانوا أمراء على مثلي، وأصبحت أميراً على مثلك.

يروي ابن سعد في طبقاته قصة استشهاد علي ﷺ عن أبي الطفيل فيقول: دعا علي ﷺ الناس إلى البيعة فجاء عبد الرحمن بن ملجم المرادي فرده مرتين ثم أتاه، فقال: ما يحبس أشقاها، لتخضبن هذه من هذا، يعني لحيته من رأسه، وعن أبي مجلز قال: جاء رجل من مراد إلى علي ﷺ وهو يصلي في مسجد الكوفة، فقال: احترس فان أناسا من مراد يريدون قتلك فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، وان الأجل جنة حصينة[1].

---

(١) في الحقيقة إن مقدمات مقتل علي ﷺ تشبه مقدمات مقتل عمر ﷺ، حين اكتفى عمر بعد سماع تهديد أبي لؤلؤة، بقوله: لقد توعدني العبد، ولم يتخذ أي إجراء ولم يسجن أبا لؤلؤة على الشك والظن، وكذلك فعل علي ﷺ مع ابن ملجم حين قال: لتخضبن هذه من هذا، فوقع الاغتيال في الحالتين، وكذلك عثمان ﷺ نراه يمنع الصحابة وأبناءهم من الدفاع عنه حقناً لدماء المسلمين وتضييقاً لنطاق الفتنة باجتهاده، ويبدو من ذلك، أن المبدأ والقانون وحصانة الإنسان عند جيل الصحابة، كان أهم من أية قضية أخرى حتى لو كانت حياة

ويروي ابن سعد في الطبقات قال: انتدب ثلاثة نفر من الخوارج عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التميمي وعمرو بن بكير التميمي فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا، ليقتلن هؤلاء الثلاثة: علي ومعاوية وعمرو بن العاص، ويريحنّ العباد منهم قال ابن ملجم المرادي: أنا لكم بعلي، وقال البرك: وأنا لكم بمعاوية، وابن بكير لعمرو، فتعاهدوا على ذلك وتعاقدوا وتوافقوا لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي سمي، ويتوجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، وتواعدوا بينهم ليلة سبعة عشر من شهر رمضان ثم توجه كل رجل إلى المصر الذي فيه صاحبه، فجاء ابن ملجم الكوفة، فلقي أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريد، وتم له ما أراد، ومات علي ﷺ بعد ثلاث من ضربه بسيف ابن ملجم فسال الدم على لحيته، فنادى علي ﷺ عليكم به، ومسك ابن ملجم وقدّم عليٌّ جعدة بن هبيرة، فصلى بالناس صلاة الصبح وحمل علي إلى منزله[1] وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر الطيار، ودفن سراً في مكان خارج الكوفة، ولم يعلم أحد بمكانه حتى اكتشف قبره الخليفة العباسي هارون الرشيد وبنى له القبر المعروف الآن في مدينة النجف[2]، أما معاوية فقد جرح ولم يمت، وأما عمرو فقد وكل من ينوب عنه في الصلاة في فجر تلك الليلة، فنجا من الموت، وقتل نائبه خارجه.

إن استشهاد الإمام علي آخر الخلفاء الراشدين، قبل أن يصفي حسابه مع معارضيه وقبل أن يعود بالدولة الراشدة إلى وضعها المستقر في عهد من سبقه لاسيما الشيخين، واستئناف أعمال الجهاد والفتوح الإسلامية التي أوقفتها أحداث الفتنة، إن استشهاده قبل أن ينهي دوره كخليفة ورمز للمبدئية والمرابطة والمصابرة، ونهايته

الخليفة نفسه، وتلك هي ميزة هذا الدين وروعته وفضله على ما سواه، وبقي التاريخ يروي لنا أحداثاً أقرب إلى الخيال لسموها وعظمتها رغم الثمن الباهظ الذي دفعه المسلمون باغتيال عمر وعثمان وعلي وبقية الصحب والتابعين من أهل البيت والصحابة وأبنائهم، لتدلل على سماحة وإنسانية هذا المنهج الفريد بين مناهج البشر، انه منهج خالق البشر ودينه القويم الهادي إلى سواء السبيل.

(١) تاريخ ابن كثير، ج٧ ص٣٢٨.

(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص١٤٥.

بتلك الصورة التي أفجعت المسلمين سواء من أنصاره في الكوفة والبصرة والحجاز أو خصومه في الشام ومصر، جعلت هذه النهاية حداً فاصلاً لعصر الخلافة الراشدة عن غيره من العصور، حيث امتاز هذا العصر بتأسيه الكامل بتعاليم القرآن والسنة وسيادة مبادئ العدل والحق والشورى التي جاء بها الإسلام ليبقى محط أنظار أجيال المسلمين لإعادة هذا العصر الذهبي القرآني إلى قيام الساعة.

لمحة عن حياة الحسين بن علي بن أبي طالب

الحسين ن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشي الهاشمي، أبو عبد الله ريحانة النبي ﷺ، وشبهه من الصدر إلى ما أسفل منه، ولما ولد أذن النبي ﷺ في أذنه،وهو خامس أهل الكساء،أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

عن علي بن أي طالب رضي الله عنه قال: لما ولد الحسن سميته حرباً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: ((أروني ابني ما سميتموه))؟ قلنا: حرباً، قال: ((بل هو الحسن))، فلما ولد الحسين سميته حرباً، فجاء النبي ﷺ فقال: ((أروني ابني ما سميتموه))؟ قلنا: حرباً، قال ((بل هو الحسين)) فلما ولد الثالث سميته حرباً، فجاء النبي ﷺ فقال: ((أروني ابني ما سميتموه))؟ قلنا: حرباً، قال ((بل هو محسن))، ثم قال: ((سميتهم بأسماء ولد هارون: شبر وشبير ومشبر))[٢]. وكذلك الحسن والحسين من أسماء أهل الجنة لم يكونا في الجاهلية)).

قال الليث بن سعد: ولدت فاطمة بنت رسول الله ﷺ الحسين بن علي في ليال خلون من شعبان سنة أربع، ، وقال الزبير بن بكار: ولد الحسين لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة، وقال جعفر بن محمد: لم يكن بين الحمل بالحسين

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٩/١، ١١٨ والبيهقي في السنن ١٦٦/٦، ٦٣/٧ والحاكم في المستدرك ١٨٠/٣، ١٦٥ والطبراني في الكبير ١٠٠/٣ وابن حبان في صحيحه حديث رقم ٢٢٢٧ والبخاري في الأدب المفرد ص٨٢ وذكره الهيثمي في الزوائد ٥٢/٨.

بعد ولادة الحسن إلا طهر واحد، وقال قتادة: ولد الحسين بعد الحسن بسنة وعشرة أشهر.

عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: كان الحسن والحسين يصطرعان بين يدي رسول الله ﷺ ورسول الله، ((يقول: هَيَّ حسن))، قالت فاطمة: لم تقول: هيَّ حسن؟ قال: ((إن جبريل يقول: هَيَّ حسين)). وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا!))[3].

عن يعلى بن مرة، قال: قال رسول الله ﷺ: ((حسين مني، وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط))[4].

---

(٣) أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦١٥ كتاب المناقب (٥٠) باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام (٣١) حديث رقم ٣٧٧٠ وقال أبو عيسى هذا حديث صحيح.

(٤) أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦١٧ كتاب المناقب (٥٠) باب مناقب الحسن والحسين (٣١) حديث رقم ٣٧٧٥ قال أبو عيسى هذا حديث حسن.

دم الحسين بن علي

قال تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾[1].

وقال النبي ﷺ: سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى أمام جائر فنهاه فقتله[2].

يجمع المؤرخون على أن يزيد استهل عهده بقتل الحسي ن رضي الله عنه في معركة غير متكافئة في موقعة الطف في كربلاء سنة ٦١هـ، ثم تمادى في جوره على صحابة رسول الله وأبنائهم في المدينة المنورة في موقعة الحرّة سنة ٦٣هـ في أواخر حكمه القصير الذي لم يدم أكثر من ثلاث سنوات ونصف، فقتل في الطف (٧٠) رجلاً من أهل البيت وأنصارهم[3]. كما قتل في الحرّة أكثر من (٣٠٠) رجلٍ من المهاجرين والأنصار وأبنائهم في المدينة[4]، وتقع الحرّة على بعد ثلاثة أميال من المدينة، أما الطف فتقع على مقربة من الكوفة في كربلاء حالياً[5]. ليدلل بذلك على ظلمه وجوره على أهل البيت والصحابة، ولقد روى ابن تيمية عن أحمد بن حنبل، إن ابنه سأله عن رأيه في يزيد بن معاوية، فقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاويه[6] بعد أن ذكر ما أصاب أهل البيت والصحابة من ظلمه في وقعتي الطف والحرّة، ثم حصاره لمكة، فقال: وهذا من الظلم والعدوان الذي فُعِل بأمره، ولهذا كان الذي عليه معتقد أهل السنة والحديث وأئمة الأمة، انه لا يُحَبُّ ولا يسب، ومع ذلك فهناك طائفة من أهل السنة، فضلا عن الشيعة يجيزون لعنه، لأنهم يعتقدون أنه فعل من الظلم ما يجوز لعن فاعله،

---

(١) سورة الأحزاب/٢٣.

(٢) رواه الترمذي والحاكم وقال صحيح الإسناد.

(٣) تاريخ الطبري ج٥ ص١٩٤، الإمامة والسياسة/ابن قتيبة ج٨ ص١٩٠.

(٤) تاريخ الطبري ج٥ ص١٩٤، الإمامة والسياسة/ابن قتيبة ج١ ص٢١٠ وتاريخ السيوطي ص٢٠٩.

(٥) معجم البلدان، ج٢ ص٢٥٠.

(٦) الفتاوى لابن تيمية / ج٣/ ٤١٢.

والصواب الذي عليه أكثر الأئمة والمجتهدين من انه لا يخص بمحبة ولا يلعن، والقضية هنا ليست جواز اللعن أو عدمه. ولكن اتفاق جمهور العلماء من الفريقين على ظلمه وجوره وعدوانه على أهل البيت والصحابة وأبنائهم.

كان عبيد الله بن زياد يقود جيش يزيد في الطف، ومسلم بن عقبة يقود الجيش في الحرّة، وقد ختم يزيد عهده بحصار مكة بعد الحرّة مباشرة، إذ وصل نعيه إلى مسلم بن عقبة عند وصول جيش الشام إلى مكة لمحاصرتها بغية القضاء على عبد الله بن الزبير[١] الذي أعلن نفسه خليفة للمسلمين بعد وفاة يزيد وانسحاب جيشه من مكة، وقد بايعه الناس في كافة الأمصار، في الحجاز والعراق ومصر وخراسان بل حتى في الشام نفسها، واستمر العهد الزبيري ثماني سنوات، إلى أن قضى عبد الملك بن مروان على حكم ابن الزبير سنة ٧٣هـ وعلى يد قائده المشهور الحجاج بن يوسف الثقفي بعد حصار مكة– عاصمة الخلافة في العهد الزبيري – لمدة ثلاثة أشهر[٢].

إذن لا يستطيع أحد أن يبرئ يزيد من دم الحسين الشهيد وسيد الشهداء ﵁، كما لا يمكن تبرئته من دماء بقية أهل البيت والصحابة في معركتي الطف والحرّة.

ومن المسائل الأساسية التي ينبغي أن نطلع عليها في دراسة تاريخ تلك الحقبة الخطيرة من تاريخ الإسلام، هي رفض الصحابة وأهل البيت لمسألة ترشيح يزيد للخلافة، ورفض بيعته، فقد عارض عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ﵁ رغبة معاوية ترشيح ابنه[٣]، بقوله: تريدونها كسروية قيصرية، كلما مات قيصر قام قيصر

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص٤٤٩.

(٢) تاريخ الطبري، ج٥ ص١٩٣، وتاريخ ابن كثير، ج٨ ص٣٢٩، وتاريخ السيوطي، ص٢١٢.

(٣) استطاع المغيرة بن شعبة أحد دهاة العرب في صدر الإسلام أن يقنع معاوية بتلك الفكرة وان يجعل ابنه يزيد وليا للعهد قبل موت معاوية ببضع سنين فاستحسن معاوية ذلك الرأي بحجة مخافة الفتنة بين المسلمين وعودة الاضطراب بسبب الانقسام المتوقع حول من يلي خلافة المسلمين لاسيما بعد وفاة معظم الصحابة في أواخر عهد معاوية، غير أن ذلك من الوهم–لاشك في ذلك– لان مبدأ الشورى أهم مبادئ الحكم في الإسلام، ودليل ذلك هو الذي أكدته الأحداث التالية لاختيار يزيد وتنصيبه بالقوة.

مكانه.. مشيراً إلى رفضه مبدأ الوراثة في الحكم كما أن الحسن بن علي ﷺ اصطلح مع معاوية على شروط منها، أن يعود الأمر بعد معاوية شورى بين المسلمين، كما رفض عبد الله بن عمر بيعة يزيد لولاية العهد في أواخر خلافة معاوية، وكذا عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية والحسن وعبد الله بن الزبير، ولم يثن إجماع الصحابة هذا معاوية عن تحقق رغبته الأبوية واستبدل بالأسلوب القرآني الذي كان الخلفاء الراشدون يسيرون عليه في تطبيق مبدأ الشورى في الحكم، بالأسلوب الوراثي الذي جاء به بحجة تغير الظروف والمجتمع وخشية الفتنة والفوضى والتنازع على الحكم. ونتيجة لذلك وبعد وفاة معاوية، واعتلاء يزيد عرش الخلافة بأسلوب الإكراه والإجبار على البيعة، كان لابد أن يكون موقف أهل البيت والصحابة بمستوى التحدي، فخرج الحسين وعبد الله بن الزبير في المدينة إلى مكة رافضين بيعة يزيد، محاولين إعادة الأمور إلى نصابها، واستعادة دور الشورى في نظام الحكم الإسلامي، كما رفض المهاجرون والأنصار وباقي المسلمين في مكة والمدينة بيعة يزيد، وكان ما كان من الفتنة والحروب والمواجهة الدموية بين جيش الشام والمعارضين لبيعة يزيد وحكمه في العراق ومكة والمدينة.

ومن المسلمات الأخرى في استشهاد الحسين ﷺ وثورته، أنه خرج على يزيد من أجل مبادئ الإسلام الحنيف ودفاعاً عن الشورى وإعلان رفضه لمبدأ الوراثة في الحكم الذي سار عليه الأمويون ومن جاء بعدهم. فضلاً عن أن يزيد لم يكن أهلاً للخلافة ولم يبلغ شأو معاصريه[١] كما خرج معه عبد الله بن الزبير ﷺ وذهبا إلى مكة، لأجل جمع الأتباع وحث المسلمين على الوقوف في وجه الانحراف الذي أحدثه يزيد في الحكم ، وسعيا وراء تصحيح هذا الخلل الذي استجد في عالم الإسلام. كما جاء في الحديث النبوي: (لتنتقضن عرى الإسلام عروة عروة، كلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، أولهن نقضاً الحكم. وآخرهن الصلاة)[٢]. إن خروج ابن الزبير مع الحسين على حكم يزيد ورفضهما بيعته، يؤكد إجماع أهل البيت والصحابة

(١) انظر تطور الفكر السياسي الشيعي/احمد الكاتب،والتشيع العلوي/د.علي شريعتي.

(٢) رواه احمد والطبراني ورجالهما رجال التصحيح.

الرافض للانحراف الذي طرأ في الحكم، كما دفع جيل النبوة إلى المواجهة والتضحية بالأنفس والأموال من أجل مبادئ الشورى والحق والعدل التي كان حكم يزيد يفتقر إليها. كما يؤكد أن الانحراف والظلم والعدوان الذي حدث في عهد يزيد إنما يخص أحد الحكام الظلمة ولا يمت بصلة إلى السنة والشيعة قديماً وحديثاً، وان كلا الفريقين قد رفضا منذ البدء ذلك الحكم الجائر..

وهكذا بدأت رحلة الحسين ﷺ لجمع الأتباع نحو الثورة والتصحيح والانتصار للشورى والمبادئ الكريمة، وهكذا كان استشهاده وأهل بيته ثم بقية الصحب وأبنائهم من أجل تلك المبادئ النبيلة.

وفي مقارنة سريعة بين استشهاد الحسين ﷺ واستشهاد عمر ﷺ، نستشف ونستنتج أن الأصابع الخفية التي أغرت ذلك العبد المجوسي (أبو لؤلؤة الفيروز) بقتل عمر بالتعاون مع الهرمزان وجفينة النصراني مع بقايا اليهود والروم، هي نفسها التي كونت تيار الغلاة والمتمردين، فيما بعد – الذي أسهم في قتل عثمان وعلي – والذي قام بدور بارز باستثمار خروج الحسين على الحكم الوراثي الجائر، ومراسلته واستمالته للمجيء إلى الكوفة، ومن ثم التخلي عنه والانقلاب عليه، وقتله مع أهل بيته، وإذا كان استشهاد عمر في الأول من محرم الحرام[1] فإن استشهاد الحسين كان في العاشر منه[2] فيكون شهر محرم بذلك هو شهر الهجرة النبوية المباركة وهو شهر التضحية والاستشهاد باستشهاد عمر والحسين، رمزي العدالة والشجاعة، فضلا عن وقوع العديد من المناسبات في هذا الشهر الكريم، كزواج فاطمة الزهراء من علي ﷺ ونجاة نبي الله موسى عليه السلام ونجاة النبي يونس عليه السلام من بطن الحوت وغيرها.

وإذا كان استشهاد الحسين في سبيل المبادئ الإسلامية العظيمة، وعلى رأسها الشورى والثبات والتضحية، والإصرار على تصحيح الانحراف والخلل في المسار الإسلامي وشجب أطروحة الحكم الوراثي، وفي سبيل هدم الباطل الذي أطل على دولة الإسلام، الذي أرسى بين المسلمين مدرسة الثورة والتحدي والثبات بغض النظر عن

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/١٩٤.

(٢) تاريخ ابن كثير: ٣/١٢٠.

تكافؤ القوى المنظورة.. فقد كان مقابل ذلك، استشهاد عمر والتآمر على قتله، لاغتيال رمز دولة الإسلام العظمى، والعدل الذي لم تشهد البشرية لـه مثـيلاً، فلقـد استشـهد عمر على أيدي أعداء غاظهم هذا البناء الشامخ الذي أسسه عمـر لبنـاء صـرح الإسـلام العظيم ودولة الإسلام العادلة، إذ لابد للحق أن يتكامل مع هـدم الباطـل، كمـا يؤكـد القرآن الكريم ذلك التلازم في آلية الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر، ولهـذا اغتـال الأعداء رمزي البناء والهدم، اللذين كانا يعملان على الحفاظ علـى صـرح الإسـلام مـن الانحراف والتراجع، فبقى عمر والحسين رمزين شامخين في دنيا الإسـلام، لابـد مـن توافرهما وتكاملهما لإعادة بناء مجد الإسلام من جدي. ومن الصور الأخرى التي تؤكـد الرابطة الروحية والنفسـية بـين عمـر الفـاروق والحسـين السـبط، هـي صـلة المصـاهرة بينهما، فـإذا وضـعنا جانبـاً زواج الـنبي ﷺ مـن بنـت عمـر، وزواج عمـر مـن أخـت الحسين، نجد أن زوجة عمر وابنـة عمـه الصـحابية الجليلـة عاتكـة بنـت زيـد، قـد تزوجها الحسين بعد وفاة عمر، وقد شهدت مصـرعه في الطـف، كمـا شـهدت مصـرع زوجها السابق (عمر) في المسجد النبوي الشريف.

إن هذه الخلفية الخطيرة للتآمر على رموز الإسلام، واستشهاد عمر والحسـين ومن يقف وراءه، تعطينا التصـور الواضـح عـن أعـداء الإسـلام والأسـباب الخفيـة وراء استشهادهما.

لقد كان الحسين مع ابن الزبير في مكة، وكان أمام الحسـين ثـلاث خيـارات لبدء حركته وثورته، أما أن يبقى في مكة، وكان ذلك ما يراه صديقه ونسـيبه عبـد الله بن عمر، أو أن يرحل إلى اليمن لأن فيها شيعته وشيعة أبيه، كمـا قـال لـه ابـن عمـه عبد الله بن عباس[1] أو يذهب إلى الكوفة وهي عاصمة أبيه وأخيه الحسن، ولقد كـان لكثرة الرسائل التي وصلت من الكوفة والبصرة إلى الحسـين عليه السلام الأثـر الأكـبر المـرجح في اختيار الكوفة مركزاً لخروجه، فبعد أن ألحّ الكوفيون على مجيئه وأغلظـوا الإيمـان والمواثيق لنصرته والدفاع عنـه بـأموالهم وأنفسـهم، وأعطـوا العهـود علـى ذلـك، نـزل الحسين إلى رغبتهم رغم عدم تأييد كبار أبناء الصحابة. كعبد الله بـن عمـر وعبـد الله

(١) تاريخ ابن كثير: ١٦٣/٨.

بن عباس ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن الزبير، لهذا الاختيار خوفاً عليه ومحبة له وتخوفاً من غدر أهل الكوفة – إذ غدروا بأبيه وأخيه من قبل – وقد كانت الكوفة تعج بالموالي والأعراب من الغلاة والسبئيين، ولكن الحسين عليه السلام أصر على اختيار الكوفة[1].

إن خديعة الغلاة في الكوفة وغدرهم بالحسين خسيسة تقع عليهم، وكما قيل في الأثر: من خدعنا انخدعنا له، لأن فكر الخديعة يقع عليه في النتيجة، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، ولكن ماذا كان في ذهن الحسين، وهو سبط رسول الله وابن فاطمة الزهراء، وكان من الفطنة والحكمة والذكاء، ما يضيف إلى مبدئيته وثباته وشجاعته نورا إلى نور، وحكمة على حكمة، فهل فكر أن يلقي بنفسه وأهله إلى التهلكة، وأن يترك دمه يذهب هدراً ؟ حاشاه..

لقد فكر الحسين عليه السلام ملياً، وهو سليل النبوة والرسالة والمبادئ فرأى ببصيرته النافذة، أن هذا الخرق والانحراف في الحكم من الشورى إلى الوراثة هو بداية الخطر والابتعاد عن منهج الله وانه لا طاقة له بإصلاحه وإعادة الأمور إلى ما كانت عليه في عصر الخلافة الراشدة، حيث الحق والعدل والحكم بالشورى وعلى ضوء مبادئ القرآن والسنة الشريفة، فلابد من الثورة بأقصى صورها لإيصال صوته إلى المسلمين في عصره وإلى من يأتي بعده من المسلمين، ولابد من أن يفجر نفسه وأهله شهيداً، وأن يقدم دمه في سبيل الله مراقاً في صحراء كربلاء، ليعلم من لم يدرك خطر الابتعاد عن منهج الله، وأن التصحيح والدعوة إلى الرشد لابد لها أحياناً من الدم الطاهر المراق ليفعل فعله في القلوب والنفوس والأرواح. ولتبقى شعلة التضحية والثبات والجهاد رمزاً لنصرة الحق والمبدأ مهما كثر الخبث وتجبر الباطل. فكانت حركة الحسين واستشهاده بمثابة الإعلان الحق على عدم شرعية الباطل ولابد من إزهاقه وإقامة الحق والعدل مكانه، فكان استشهاده بداية عملية هدم الباطل ليقوم الحق مكانه ولو بعد حين، فكما سبق بناء دولة الحق في عهد عمر، هدم باطل الردة في عهد الصديق، فكذلك تلا هدم الباطل في النفوس على يد الحسين، إقامة دولة الحق والعدل

---

(١) تاريخ الطبري: ٣٨١/٥، تاريخ ابن كثير: ١٦٣/٨.

في عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، وهكذا دورة الحق والباطل على مدار الزمان، فكأن الحسين يقول: لنا: إنني أضحي بدمي في معركة غير متكافئة مع كم من الباطل متغطرس متجبر ظالم لا يعرف للحق قيمة ولا للمبادئ وزنا، ويتصور أن القوة هي التي تحسم كل شيء تاركاً المبادئ التي جاء بها نبي الهدى وراء ظهره، ويقول لقد أتيت في أرض أنا أعلم من غيري بصفات الغلاة من أهلها فقد غدروا بأهلي قبلي، لكن ذلك أمر يعنيهم، أما ما يعنيني، هو أن أخط بدمي أسطر النهاية لدولة الباطل، وأن أعيد للإسلام منهجه ومبادئه التي عاشت سنين طويلة في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ولقد جئت بأهلي من النساء والأطفال ليكونوا شهداء على تلك الملحمة البطولية الرائعة، وأن ينقلوها للأجيال، تماما كما فعلت السيدة زينب بنت علي أخته، وابنه علي بن الحسين (زين العابدين) حينما نقلوا لنا تلك التضحية وهذا الثبات النبوي العجيب، حينما ذهبوا إلى الشام ومصر والحجاز، وكما نقرئها اليوم في صورتها المضيئة في كتب التاريخ والتراث الإسلامي. ولقد حدث ما تنبأ به الحسين أبان استشهاده ومسيره الرائع، فلم يبق يزيد وبنيه من بعده أكثر من خمس سنوات، وانتهى حكم السفيانيين من ذريته، ليبدأ حكم الزبيريين ثم المروانيين ثم العباسيين.. فانقطع ذكر يزيد، ولم يتذكر المسلمون سوى أعماله المشينة وظلمه لأهل البيت والصحابة.

ونعود إلى أخبار وقعة الطف، فنقول زيادة في التحوط من غدر الغلاة، أرسل الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل ليكون عينا له، وليستطلع الأخبار قبل وصوله(1) وما أن وصل مسلم بن عقيل إلى الكوفة حتى انقلب أنصار الحسين وأتباعه، ومن راسله وألحّ في قدومه وانتخابه خليفة بدلاً من يزيد، إلى أعداء له ولابن عمه الذي لم يكن يعلم الغيب حتى أحيط به وقتل أثر وصوله مباشرة، غير انه حين أحس بهذا الغدر، أنفذ رسالة عاجلة إلى ابن عمه الحسين عليه السلام يطلب منه التوقف عن القدوم إلى الكوفة والرجوع فوراً من حيث أتى، غير أن أبناء مسلم وإخوانه، رفضوا اقتراح أبيهم وما جاء في رسالته قبل استشهاده وقالوا للحسين: بل نقتل معه أو يحكم الله بيننا

---

(1) تاريخ الطبري: ٣٥/٥، وتاريخ ابن كثير: ١٥٨/٨.

وبينهم، فاستجاب الحسين لطلبهم وأيد وجهتهم، وكان الحسين ومن معه على بعد أربعة أيام من الكوفة، وما أن وصل أطراف الكوفة على نهر الفرات في موضع الطف من كربلاء حتى واجه موقف الغدر والخيانة بدفع من الغلاة ووالي العراق ابن زياد، فتخلى عنه أنصاره وأعوانه من الكوفيين وغيرهم ولم يبق معه غير نفر قليل من أنصاره ومواليه، فضلا عن أهل بيته من أبنائه وإخوانه وأبناء عمه ونسائهم معه، وكان في تلك الأثناء أن أحاط جيش عبيد الله بن زياد بهؤلاء النفر القليل من أتباع الحسين وأهل بيته، وكان عدد الجيش يقرب من ٤٠٠٠ مقاتل معظمهم من الكوفيين والبصريين فحدثت معركة غير متكافئة بين الفريقين، أدت في النهاية إلى استشهاد الحسين مع سبعين من الشهداء البررة نصفهم من أنصاره ونصفهم الآخر من أهل بيته، منهم مسلم بن عوسجة الاسدي وحبيب بن مظاهر وزهير بن القين ونافع ابن هلال والحر بن يزيد الرياحي الذي مال إلى الحسين أثناء محاصرته بعد أن شهد غدر أصحابه وشجاعته وثباته على الحق فقتل معه. أما أبرز قتلة الحسين، فهم شمر بن ذي الجوشن وهو على رأسهم، وزرعة بن شريك التميمي وسنان بن أنس النخعي وخولي بن يزيد الاصبحي.. أما أبرز الشهداء من أهل بيته، فهم علي الأكبر بن الحسين وإخوته عبد الله وعمر بن الحسين وزيد وعلي الأصغر بن الحسين، ومن أخوة الحسين العباس وجعفر وعبد الله وعثمان بن علي ومحمد الأصغر وأبو بكر بن علي وعمر الأكبر بن علي بن أبي طالب، ومن أولاد الحسن بن علي، القاسم وأبو بكر وعبد الله ابن الحسن، ومن أولاد عقيل، مسلم بن عقيل وابنيه، جعفر وعبد الرحمن وعبد الله بن عقيل، وأبناء عبد الله بن جعفر الطيار، عون ومحمد وعلي وعباس وأبو بكر بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

أما الذين نجوا من القتل لصغرهم أو مرضهم مع النساء فهم:

الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) ويسمى أيضا علي الأوسط، وكان مريضاً في خيمته مع النساء، والإمام الحسن المثنى بن الحسن السبط، وعبد الله بن

الحسين بن علي بن أبي طالب مات رضيعا بعد الطف). وعمر ابن الحسن بن علي بن أبي طالب[1].

وهكذا وارى تراب كربلاء على أرض العراق جسد الحسين الطاهر ليعلن للناس رفضه للجور والظلم وهدمه للباطل الذي بدأ يتغلغل في دولة الإسلام، وانتقاض عروة الحكم في النظام الإسلامي. والمنهج القرآني الذي شيّد على العدل والحق والشورى، فأرادت الأهواء أن تطمس الشورى القرآنية بالوراثة المقدسة باسم الحق الإلهي الذي ما أنزل الله به من سلطان، كما يعلن الحسين براءته من شهوة الحكم وطلب السلطة بتضحيته ووقفته الشجاعة تلك، ورفضه المساومة والتراجع عن الحق الذي خرج من أجله، محذرا الناس أن تهلك فيه، كما اختلفت وهلكت في أبيه الإمام علي، حيث قال له النبي ﷺ: يا علي يهلك فيك اثنان، محب غال ومبغض قال. فأحبته بغلو وتقديس وتأليه السبئية والباطنية، وبغضته وبخست حقه ومنزلته وكفرته الخوارج والنواصب وأهل المصالح والنفاق. فكان الحسين وأهل بيته على نهج النبوة يحذر من الغلو في التقديس الذي يجعل منه ألهاً مقدساً ليس من البشر، في حين يقول الله سبحانه لرسوله: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾[2]. ومن النصب والبغض والخذلان وبخس المنزلة والشخصيه المثلى التي تحلى بها الحسين الشهيد ومن سار على نهجه، ويشكو هذا الجسد الطاهر إلى الله غدر أنصاره، ومن كاتبه وراسله من أهل الكوفة، يؤكدون له وقوفهم معه ودفاعهم عنه، وإذا تلك الوعود والعهود، فخ غادر واستدراج حاقد، يودي بحياة الصفوة من أهل بيت النبوة، لا تزال الأمة تعاني من آثاره ونتائجه الأليمة.. ويزف الحسين عليه السلام مع أهله في عرس الشهادة رغم أنف أعدائه من الظلمة والغلاة وأهل الغدر والخيانة والمصالح والنفاق ليسجل التاريخ أروع ملحمة إيمانية، تصور غدر الأعداء لمن وقف الوقفة الشجاعة ضد الزيغ والانحراف،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٢٨، عمدة الطالب/ لابن عَنَبَه ص٨١، معجم رجال الحديث/ للسيد أبو القاسم الخوئي ج٢١ ص٧٧، مقاتل الطالبيين ص١٤٢، الإرشاد للمفيد ص١٩٤، ابن كثير ج٦ ص٣٠.

(٢) سورة الكهف/١١٠.

معلناً أنه لابد من الدماء الزكية للوقوف في وجه الباطل وهدمه، لكي يتسنى إقامة دولة الحق والعدل، ومن هنا نبت التشيع الأصيل لهدم الباطل، والتسنن الأصيل لبناء الحق والعدل. قال تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون﴾[1].

مواقف الحسين الجهادية

حين فتح الله الدنيا للمسلمين، وفتحت لهم خزائن الأرض في خلافة عمر.. وأسس الخليفة الديوان لتوزيع الفيء، أعطى الحسن والحسين حصة كحصة أصحاب بدر، وقال لابنه عبد الله حين تعجب من ذلك وهو أكبر منهما ومن شباب الصحابة، قال له أبوه: ائتني بجد كجدهما وأم كأمهما وأب كأبيهما، أعطيك مثلهما.. وكان يأذن لهما بالدخول عليه بدون حجابة، بخلاف غيرهما من الناس وصغار الصحابة ومنهم أبناؤه. وقد روى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة[2] عن يحيي بن سعيد انه قال: أمر الخليفة عمر رضي الله عنه الحسين بن علي عليه السلام أن يأتيه في بعض الحاجة، فلقي الحسين عبد الله بن عمر فسأله من أين جاء، قال: استأذنت على أبي فلم يأذن لي، فرجع الحسين، ولقيه عمر من الغد، فقال: ما منعك أن تأتيني؟ قال: قد أتيتك، ولكن أخبرني ابنك عبد الله انه لم يؤذن له عليك فرجعت، فقال عمر: وأنت عندي مثله؟ وهل أنبت الشعر على الرأس غيركم.

ولقد شهد الحسين عليه السلام العديد من معارك الفتح الإسلامي في أفريقيا في عهد الخلافة الراشدة وما بعدها، وكان مثالا للمجاهد الشجاع الذي كان يسعى مع الجيش الإسلامي، لنشر نور الإسلام ورفع راية القرآن في ربوع الأرض من مشرقها إلى مغربها. فقد اشترك الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر الطيار وعبد الله بن عباس في فتح

---

(١) سورة آل عمران/١٦٩.

(٢) شرح منهج البلاغة ج٣ ص١١٠.

برقة وطرابلس وأفريقية وذلك سنة ٣٢هـ. كما اشتركوا في غزوات خراسان وطبرستان وجرجان[١] (في المشرق) (كما يرويه الطبري وابن الأثير وابن خلدون وابن كثير في تواريخهم).

وفي الفتنة التي قتل فيها عثمان ﵁ أرسل الإمام علي ﵁ ابنيه الحسن والحسين ﵉ وابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيار للدفاع عن الخليفة وحمايته من حصار المتمردين، وقد جرح الحسين ﵇ وشج قنبر وجرح كذلك محمد بن طلحة، حين حاول هؤلاء الغلاة اقتحام دار الخلافة وقتله[٢].

وهكذا فقد كان الإمام الحسين ﵇ ذو دور فاعل وشجاع في كافة مراحل حياته سواء في عصر النبوة أم في عصر الخلافة الراشدة وما تلا ذلك حتى أخر لحظة من حياته المباركة الزكية. وسواء في ميادين الجهاد والثغور أم في ميادين مجابهة الفتن والتصدي لها، وكذا في ميادين العلم والدعوة إلى الهدى والرشاد. فقد كان علما شاخصاً في دنيا الإسلام، هاديا مهدياً شجاعاً صلبا لا يخشى في الله لومة لائم حتى لقي الله سبحانه شهيداً مدافعاً عن مبادئ الدين الحنيف، ثائراً على الظلم والانحراف هادماً للباطل، داعياً لبناء الإسلام على هدى الحق والعدل ولعل ملحمة كربلاء هي أبهى صورة الشهادة من أجل هدم الباطل الذي جاءت به الفتن والوهن الذي أصاب بعض المسلمين فجعلوا الاستئثار بالحكم أهم من المثل والمبادئ التي جاء بها الإسلام الحنيف متمثلة بالشورى، التي لابد منها لرعاية الحق والعدل والخير الذي جاء به الإسلام لتنعم فيه البشرية في ظل حضارة القرآن ودولة الإسلام التي أقامها النبي ﷺ وخلفاؤه من بعده.

---

(١) كما يرويه الطبري وابن الأثير وابن خلدون وابن كثير في تواريخهم، وقد اشترك الحسن والحسين في جيش ابن أبي سرح في عهد عثمان ﵁ بفتح شمال أفريقيا، وتلك من الدلائل الأكيدة والمعالم المضيئة على مشاركة أهل البيت والصحابة أبنائهم في الفتح الإسلامي العظيم وشرعية ذلك الفتح المبين الذي بدء في العصر الراشدي واستمر حتى العصر العثماني.

(٢) كما رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٠ ص٥٨١ والبلاذري في أنساب الأشراف ج٥ ص٩٥ وغيرهما.

لقد كانت ثورة الحسين عليه السلام وخروجه على يزيد، ورفضه البيعة له، بسبب بدعة الحكم الوراثي، وإقصاء الشورى عن الحكم.. تلك العروة التي انتقضت من الإسلام بعد الخلافة الراشدة تماما كما تنبأ النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وهو يقول محذرا: (لتنتقضن عرى الإسلام عروة عروة، كلما انتفضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، أولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة)[1].

وهكذا بدأت رحلة الحسين لجمع الأتباع نحو الثورة والتصحيح والانتصار للشورى والمبادئ الكريمة، وهكذا كان استشهاده من أجل تلك المبادئ النبيلة، وليس لأجل الدنيا وطلب الحكم كما يرى بعض الجهلة بسيرة الحسين ونفسه العالية وروحه الشريفة البعيدة عن كل غرض دنيوي وعرض شهواني[2].

---

(١) رواه احمد والطبري ورجالهما رجال الصحيح.

(٢) وفي تفصيل ذلك انظر كتاب: تطور الفكر السياسي الشيعي/ احمد الكاتب، وكتاب: المؤامرة الكبرى في صدر الإسلام/ للمؤلف.

النظرة القرآنية لاستشهاد الحسين بن علي

إن نظرة المسلم للتراث والتاريخ يمكن أن تختلف من شخص إلى آخر، ولكن ينبغي أن يكون هذا الاختلاف ضمن مفهوم القرآنية والوسطية والاعتدال والتعايش البناء فيكون عند ذلك اختلاف تنوع وتكامل لا اختلاف تضاد وتنافر، ولا يمكن لنا أن نعيش حالة الوحدة والتكامل والتنوع في نظرتنا إلى تراثنا الإسلامي، لا سيما النظرة إلى رجال الإسلام الأوائل، إلا إذا استبعدنا المستحدثات التكفيرية والركام الأسود الخرافي الذي وضعه الأعداء في تراثنا منذ العصر العباسي حتى اليوم فنتبع آلية تصحيح وتنقية وفق المعايير القرآنية والأخلاقية والعلمية، وصولاً إلى الوحدة والأخوة الإسلامية، ولعل في النظرة الهادفة المعتدلة إلى سيرة الحسين وثورته نموذجاً رائعاً لتصحيح النظرة للتراث عموما وإلى التصدي للباطل والانحراف بشكل أخص، فلا ينبغي للمسلم أن ينظر إلى ابن بنت رسول الله ﷺ على أنه خارج على السلطان والخليفة، لاسيما أن يزيد كان مرفوضاً من قبل أهل الحل والعقد من أبناء أهل البيت والصحابة في عهد أبيه أو في عهده، وعلى رأسهم عبد الرحمن بن أبي بكر[1] وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير فضلاً عن الحسين ومحمد بن الحنفية، كما اثبت التاريخ والأحداث فيما بعد صدق نظرة هؤلاء في معارضتهم لتوليته بعد وقعة الطف، التي قتل فيها سبعون رجلاً من أهل بيت الحسين عليه السلام وأنصاره، فبعد عامين من وقعة الطف التي استهل يزيد حكمه بها وذلك سنة ٦١هـ ، وقعت معركة الحرّة، التي قتل فيها حوالي ثلاثمائة رجل من أبناء الصحابة من المهاجرين والأنصار، واستبيحت المدينة ثم حوصرت مكة وضربت بالمنجنيق من قبل جيش الشام الذي أرسله يزيد.. ولم تتوقف تلك الكوارث والفتن إلا بوفاة يزيد وانتهاء حكمه..

---

(١) توفي عبد الرحمن بن أبي بكر قبيل وفاة معاوية بأيام، لكنه عارض بشدة أخذ البيعة ليزيد ورغبة أبيه في ولاية العهد، كما روى ذلك الطبري والمسعودي وابن كثير حيث أجاب عبد الرحمن بن أبي بكر معاوية حين طلب منه أن يبايع ليزيد (وليا للعهد) ، قال: تريدونها كسروية قيصرية، كلما مات قيصر جاء قيصر!.

ولذلك فقد أجمع علماء المسلمين على ظلم يزيد وفسقه وذلك بعد ظلمه لأهل البيت والصحابة واستباحته مقدسات المسلمين في مكة والمدينة. لذلك نجد ابن تيميه يقول في فتاويه[1]، عن يزيد ما يأتي: وهذا من العدوان والظلم الذي فعل بأمره، ولهذا كان الذي عليه معتقد أهل السنة وأئمة الأمة، أنه لا يحب ولا يسب، قال صالح بن احمد بن حنبل، قلت لأبي: إن قوماً يقولون: أنهم يحبون يزيد، قال: يا بني: وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟ فقلت: يا أبت: فلماذا لا تلعنه؟ قال: يا بني: ومتى رأيت أباك يلعن أحداً ؟ وروى عنه قيل له: أتكتب الحديث عن يزيد بن معاوية ؟ فقال: لا ولا كرامة، أو ليس هو الذي فعل بأهل المدينة ما فعل؟

ومع ذلك فهناك قلة ممن يجيز لعنه، لأنهم يعتقدون أنه فعل من الظلم ما يجوز لعن فاعله.. والصواب هو ما عليه أكثر الأئمة، من انه لا يخص بمحبة ولا بلعن..(ا.هـ كلام ابن تيميه).

إن تلك النظرة المتوازنة إلى عهد يزيد وإلى ثورة الحسين وإلى تراث أهل البيت والصحابة، هي النظرة القرآنية والنظرة الإسلامية التي تليق بمقام الحسين عليه السلام وتنسجم مع حقائق التأريخ، ولا ينبغي لنا أن نقلل من شأن ثورة الحسين واستشهاده على أرض كربلاء، ونعده قد خرج على الحكم فلقي حتفه كما لا ينبغي أن ينظر إلى الدافع الرئيسي لتلك الثورة التي دافعت عن مبادئ الإسلام وعن مبدأ الشورى الإسلامي، وشجبت الظلم والعدوان الذي كان يخشاه الحسين عليه السلام من تهور يزيد – كما حصل فعلاً فيما بعد في الطف والحّرة وغيرهما– فينظر إلى ثورة الحسين، انه خرج طمعاً في الحكم والسلطة، لأنها ينبغي أن تكون فيه وفي ذريته، تلك النظرة أيضا فيها بخس للحسين ومنهجه ولأهل البيت ومنهج القرآن وهدي النبوة الذي تربى الحسين في كنفهما شجاعاً كريماً مخلصاً للدين وتعاليمه، ليس له من أمر الحكم والدنيا شيء: تلك هي النظرة القرآنية المتوازنة التي تليق بالحسين عليه السلام وبقية أهل البيت والصحابة، وفي حدود تلك النظرة لا بأس أن يختلف الناس في التفضيل والإتباع والفهم والتأويل بعيدا عن دس الأعداء والمغرضين.

---

(١) الفتاوى / لابن تيمية ، جـ ٣ص٤١٢.

عمر والحسين وجهان لمنهج إسلامي أصيل

إن مقارنة سريعة بين استشهاد الحسين واستشهاد عمر، تعطينا تصوراً رائعاً عن جيل النبوة ومدى التكامل والتقارب بين منهج الحسين عليه السلام ومنهج عمر الفاروق رضي الله عنه، وإنهما قد مثلا في صدر الإسلام وجهين ناصعين للمنهج الإسلامي الأصيل، ودور الأعداء والغلاة في قتلهما والتآمر على الإسلام ونوره، فان الأصابع الخفية التي أغرت ذلك العبد المجوسي بقتل عمر والتخطيط لذلك الاغتيال مع الهرمزان وجفينة مع بقايا اليهود والروم، هي نفسها التي كونت تيار الغلاة فيما بعد — الذي أسهم في قتل عثمان وعلي — والذي قام بدور بارز في مراسلة الحسين واستمالته للمجيء إلى الكوفة، ومن ثم التخلي عنه والانقلاب عليه، وقتله مع أهل بيته.

ولقد كان استشهاد الحسين بعد محاصرته ومنع الماء منه في صحراء النجف في عاشوراء وهو اليوم العاشر من المحرم سنة ٦١هـ، وكذلك كان استشهاد عمر في أول من المحرم سنة ٢٤هـ، بعد أن طعنه الفيروز في ٢٧ ذي الحجة في صلاة الفجر في المسجد النبوي في المدينة.

وإذا كان استشهاد الحسين في سبيل المبادئ وعلى رأسها الشورى وتصحيح الانحراف والخلل في مسار الحكم وشجب الحكم الوراثي ولهدم الباطل الذي أطل على المسلمين، فقد كان استشهاد عمر والتآمر على قتله، لاغتيال رمز دولة الإسلام المتعاظمة ورمز العدل والحق الذي لم تشهد البشرية له مثيلاً، فلقد استشهد على أيدي أعداء غاظهم هذا البناء الشامخ الذي تأسس في عهد عمر.. إذ لابد لبناء الحق أن يتكامل مع هدم الباطل، ولهذا اغتال الأعداء رمز البناء لجوهر الحق ورمز الهدم لجوهر الباطل، فبقى عمر والحسين رمزين شامخين في دنيا الإسلام. لابد من توافرهما وتكاملهما لإعادة بناء مجد الإسلام من جديد[1].. ولعل التاريخ يقدم لنا ذلك الفهم

---

(١) وفي تلك الثنائية القرآنية والتلازم الدائم بين بناء الحق وهدم الباطل يقول تعالى: ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون. / سورة آل عمران / ١٠٤.

القرآني لدور عظماء الإسلام وتآمر الأعداء على الإسلام، من خلال الصلات العميقة التي كانت تربط بين أهل البيت والصحابة في مجال الجهاد والبناء والأخوة والمحبة والنسب والمصاهرة والتشابك الأصيل في حياتهم الاجتماعية والسياسية والروحية، حتى كان التاريخ يقدم لنا ذلك التصور القرآني في طبق من ذهب، لا يمت بصلة عن الصورة الشوهاء التي يريد أن يدسها الأعداء لفصل الرباط الروحي بيننا وبين ذلك الجيل القرآني الفريد.. ومن تلك الصور الرائعة التي تخص عمر والحسين – فضلاً عما ذكر أعلاه – صور المصاهرة التي كانت تربط الحسين ﷺ بزوج أخته عمر ﷺ وهي أم كلثوم بنت علي، فقد تزوجت الصحابية الجليلة عاتكة بنت زيد بنت عم عمر وزوجته قبل استشهاده، تزوجت من الحسين، وقد شهدت مصرعه في الطف كما شهدت مصرع زوجها السابق عمر في المسجد النبوي الشريف، وهي تذكرنا بالصحابية أسماء بنت عميس زوجة الخليفة أبي بكر التي تزوجت بعد وفاة الصديق من الإمام علي بن أبي طالب، والتي كان أبنها محمد بن أبي بكر قد تربى في حضن علي ﷺ بعد وفاة والده، وكانت قبلها زوجة جعفر الطيار شقيق علي، وقد أنجبت لهؤلاء الأفذاذ الثلاثة تلك الذرية الصالحة التي عرفها التاريخ.. وغير ذلك من الصلات والمصاهرات كثير بين أهل البيت والصحابة[1]. لقد سجل التاريخ أروع ملحمة في استشهاد الحسين وأهل بيته، فقد أعلن الحسين ﷺ باستشهاده انه لابد من الدماء الزكية للوقوف في وجه الباطل وهدمه لكي يتسنى إقامة دولة الحق والعدل، ومن هذه الزاوية يمكن فهم التشيع والتسنن في مفهومنا الإسلامي الأصيل، فهما – في الأصل – وجهان لحقيقة واحدة وفرعا الشجرة المباركة ، مهما حاول الأعداء تزييف تلك الحقيقة، وتلك الصورة الجميلة الوارفة الظلال في دنيا الإسلام وإلى يوم الدين.

(١) انظر كتاب: النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة/ للمؤلف.

المصادر

١. الإصابة في تمييز الصحابة/ لابن حجر العسقلاني.
٢. الطبقات الكبرى/ لابن سعد.
٣. تاريخ كل من الطبري وابن كثير واليعقوبي والمسعودي.
٤. المقاتل والأغاني (كتابين)/ لأبي الفرج الأصفهاني.
٥. الإمامة والسياسة/ لابن قتيبة.
٦. تأويل مختلف الحديث/ لابن قتيبة.
٧. الملل والنحل/ للشهرستاني.
٨. معجم البلدان/ ياقوت الحموي.
٩. الفصل في الملل والنحل/ ابن حزم الأندلسي.
١٠. شرح نهج البلاغة/ لابن أبي الحديد.
١١. العواصم من القواصم/ ابن العربي.
١٢. معركة صفين/ نصر بن مزاحم.
١٣. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ابن عنبة.
١٤. الإرشاد/ للشيخ المفيد.
١٥. حياة الصحابة/ محمد يوسف الكاندهلوي.
١٦. حصوننا مهددة من داخلها/ د. محمد محمد حسين.
١٧. الأمة الوسط/ علاء الدين المدرس ط. بغداد وعمان ١٩٩٩م.
١٨. المؤامرة الكبرى في صدر الإسلام/ علاء الدين المدرس.
١٩. المؤامرة الكبرى على الإسلام/ أنور الجندي.
٢٠. البابية والبهائية/ د. محسن عبد الحميد.
٢١. ابن سبأ حقيقة لا خيال/ د. سعدي الهاشمي.
٢٢. عبد الله بن سبأ ودوره في أحداث الفتنة../ سليمان العودة.

٢٣. الإمام الحسين/ عبد الله العلايلي.
٢٤. الغلو والفرق الغالية/ د. عبد الله سلوم السامرائي.
٢٥. تطور الفكر السياسي الشيعي/ لأحمد الكاتب.
٢٦. كسر الصنم/ أبو الفضل البرقعي.
٢٧. معجم رجال الحديث/ السيد أبو القاسم الخوئي.
٢٨. تاريخ المذاهب الإسلامية/ الشيخ محمد أبو زهرة.
٢٩. تاريخ الإسلام السياسي/ د. حسن إبراهيم حسن.
٣٠. الإسلام والدعوات الهدامة/ أنور الجندي.
٣١. التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي/ محمد البنداري.
٣٢. الزندقة والشعوبية/ د. حسين عطوان.
٣٣. الشيعة والتصحيح/ د. موسى الموسوي.
٣٤. تاريخ الأمم الإسلامية/ الشيخ محمد الخضري.
٣٥. هكذا ظهر جيل صلاح الدين/ د. ماجد عرسان الكيلاني.

المحتويات

صدر للمؤلف

١- الظاهرة القرآنية والعقل ط. بغداد سنة ١٩٨٦م.

٢- النبوءة والإعجاز في القرآن والسنة ط.بغداد سنة ١٩٨٨م.

٣- الوصايا الخالدة في القرآن الكريم ط.بغداد سنة ١٩٩٢م.

٤- النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة ط.بغداد وعمان والدوحة والقاهرة خلال السنين ١٩٩٨ – ٢٠٠٦م.

٥- ثقافة الوسط ط.بغداد وعمان سنة ٢٠٠٤– ٢٠٠٦م.

٦- الدر المنثور من تراث أهل البيت والصحابة ط. بغداد وعمان ١٩٩٩م – ٢٠٠٥م.

٧- أقباس من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ط. بغداد وعمان ٢٠٠١م.

٨- أقباس من أثر القرآن في التاريخ والحضارة والتراث ط. بغداد ٢٠٠١م.

٩- تراث الأنبياء بين العلم والقرآن والتوراة ط.بغداد سنة ٢٠٠٠م.

١٠- تحت رماد الحرب العاصفة ط. بغداد وعمان وبيروت ودمشق سنة الطبع ٢٠٠٣م/ ٢٠٠٤م.

١١- برزخ العالم الثالث ط. بغداد وبيروت ٢٠٠٤م.

١٢- في آفاق عولمة اللغة والتاريخ.. لغة آدم ولغة القرآن ط. عمان/ دمشق ٢٠٠٧م.